تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

فاس : باحثون وعلماء يتدارسون موضوع «التغذية بين الطب والفقه والواقع المعاصر»

ص 12

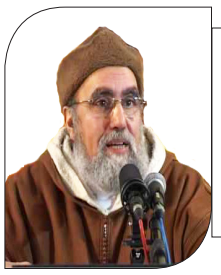

العربية وتجديد أمر الدين

ص 8-9

المحجة

3 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

AlmahajjaJournal almahajjafes@gmail.com www.almahajjafes.net

نصف شهرية جامعة ■■ المديرالمسؤول : د. عبد العلي حجيج ■■ 16 شعبان 1436 هـ - 4 يونيو 2015م ■■ العدد 440

افتتاحية

من رُهاب الامتحان إلى إرهاب الغش في الامتحان!!

لا يخفى على أحد ما للامتحانات من أثر في تعزيز المكتسبات، وتثبيت المعارف، وشحذ الأذهان، وبث روح الاجتهاد والتنافس العلمي الشريف بين المتبارين..

ولا يخفى كذلك ما للاختبارات من أثر في تكوين النخبة والصفوة العلمية المختارة، ومن إعداد الطاقات العلمية المبدعة في جميع المجالات والتخصصات، وتعرف مختلف المواهب والمؤهلات..

ولا يخفى ما للتقويمات بمختلف أشكالها وعلى رأسها التقويمات الإشهادية من قيمة في وضع الأصبع على مواطن الزلل والخلل في مكونات المنظومة التعليمية كاملة، وسبل تصحيحها وإقامتها على الجادّة.

وإن الدول الجادة في سيرها نحو التقدم والحريصة على المصالح العليا للبلاد لتولي للمسألة التعليمية أهمية بالغة، ولعملية تقويم المعلومات وطرقها أهمية أبلغ. فتجعلها في بؤرة المنظومة التعليمية وجزءاً لا يتجزأ من المصالح العليا، فبها يستقيم سير البلاد وتصلح معايش العباد، وبها تُكشف مواطن الصحة والاعتلال في السير وأسبابهما، لذلك فالامتحانات والاختبارات وتقويم المعلومات ليست مجرد أسئلة يمتحن بها التلميذ ويُعرَف بها مستواه فحسب وإنما تمتحن بها المنظومة التعليمية ككل، والاختيارات الكبرى للأمة، وتختبر فيها جهود الجميع، كل من موقعه وبحسب مستواه وحجمه.

لكن رغم هذه المكانة والمنزلة التي يقر بهما جميع العقلاء فإن نظام الامتحانات يشوبه الكثير من مظاهر الاعتلال والاختلال، ومظاهر التشويه والاحتيال.

فلم تشهد حلبة للتباري في التاريخ غشا مثلما تشهده ساحة التباري العلمي والمعرفي في أيامنا هذه في الامتحانات: غش بأوسع معانيه وأصرحها وأفصحها، استلاب جماعي لدى المترشحين والمترشحات وأولياء الأمور، تواطؤ مغرض على التسريب السري والعلني، بأحدث الأساليب والمعدات التقنية وأكثرها تطوراً لوأد الطاقات وشلّ الطموحات ونحر الاجتهادات وهدر الحقوق والعدالة...

غش لم يتسلح بالتكنولوجيا فحسب وإنما بالترهيب والعدوان: ترهيب للدولة والمواطن المسؤول واعتداء على الحق في تكافؤ الفرص وتحريف لمعناه، وعدوان على أخلاق الأمانة، والمسؤولية الوطنية والإيمانية، وعدوان على سمعة البلاد وقيمتها العلمية والخلقية !!!

غش نقل البلاد والعباد من عهد الخوف من الامتحان الذي كان يقال فيه: "في الامتحان يُعَز المرء أو يُهان"، إلى عهد السيف المُصْلت للغش في الامتحان والتخويف به ومنه حتى أصبح يقال عند المستفيدين منه: "بالغش يُعَزُّ المرء ولا يُهان" !!

كنا قديما نخاف من الامتحان وكثيرا ما نصاب بالرُّهاب ، أما اليوم فأصبح كثير ممّن لا يزال يرابط في قلعة الأخلاق والوطنية، والإيمان بمبدأ: "من غشنا فليس منا"، يخاف من أن تُمحَقَ جهوده بغش الآخرين في الامتحان، وما يترتب عن ذلك كله من رعب وتهديد وعنف!! فصار حاله يقول: "بغش الآخرين في الامتحان نُذِلّ ونُهان"!! فانتقلنا حقيقةً من رُهاب الامتحان إلى إرهاب الغش في الامتحان!!

فهذا الخلل والداء الوبيل فأين الدواء الأصيل؟

● **أولا :** كل مدرك لحقيقة مسار التعليم في بلادنا يعلم أن قطار سكّته انطلق منحرفا عن مساره منذ بداية الاستقلال، وازداد انحرافا وانجرافا إلى يومنا هذا، وتمثل هذا الانحراف في الزيغ عن هدايات الإسلام ونظامه التعليمي الذي يبني الإنسان أخلاقا قبل أن يحشوه معارف، ويربيه على المسؤولية والأمانة قبل أن يربيه على حب الخبز والمنصب والصراع عليهما، ومن ثم يغرس فيه منذ نشأته الأولى قيَم التمييز بين الوسائل والغايات. لذلك فلا إصلاح لمنظومة التعليم من غير تبنّي هذه القيم الخلقية التي تغرس في الناشئة الأمانة والصدق واحترام الحق الشرعي للآخرين، فالأمم الناهضة بتعليمها المتقدمة بتربيتها تحرص على غرس مثل هذه القيم في ناشئتها، والتي هي قيم فطرية بطبيعة الحال.

● **ثانيا :** بناءً على الانحراف السابق فقَدَ تعليمنا البوصلة الأخلاقية الموجهة للسلوك تدريجيا، وفقدت المؤسسة التعليمية دورها التربوي والتوجيهي بنِسَب عالية، ولذلك فلا يكاد يرجى القضاء على الغش ما لم تستعِدَّ المؤسسة التعليمية رسالتها الأخلاقية والتربوية على القيم الخلقية والمُثل الإسلامية، ليس في المنظومة التعليمية وحدها ولكن أيضا في سائر المنظومات والقطاعات.

● **ثالثا :** يصعب القضاء على الغش في قطاع التلاميذ والطلبة من غير القضاء على الغش داخل المجتمع بمختلف دوائره ومستوياته وأحجامه، تصوراً وتصرفا، لأن التلميذ جزءٌ من المجتمع، يحمل اعتقادات عن الغش تلقاها من المجتمع؛ فكم من الآباء تدفعهم العاطفة لتعليم أبنائهم الغش أو تشجيعهم عليه أو تبريره لهم..، وكم من المسؤولين تدفعهم أسباب عديدة للمساعدة على الغش، وكم من أفراد يدفعهم التمرد على المجتمع والانتقام منه إلى التسريب والتحريض والترويج لثقافة الغش...

● **رابعا :** متى نعي أن لنا في تربيتنا الإسلامية وقيمنا المغربية الأصيلة الدواء الناجع، وأن هذه التربية ينبغي أن تتشبع بها الأسرة أولاً ثم بعد ذلك المدرسة والإعلام والمجتمع وسائر قطاعات الأمّة، فلا مَخرج لنا مما نحن فيه جزءًا أو كلًا إلا بالإسلام وبالعمل بتوجيهاته في كل المَجالات والمستويات ؟!

أثر استحضار المراقبة في توجيه العمل من خلال القرآن الكريم

ص 2

توجيهات نبوية لبناء مجتمع العلم والمعرفة

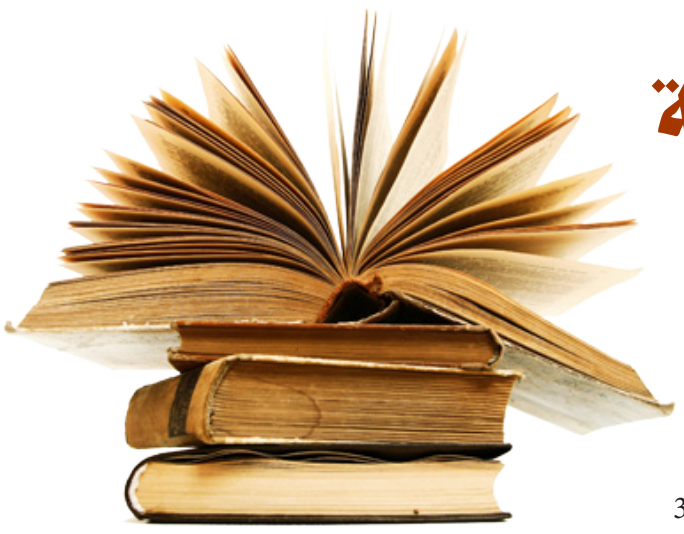

ص 3

منظومتنا التعليمية تشكو خروقها

ص 14

العمل في القرآن الكريم (2)

أثر استحضار المراقبة في توجيه العمل

د. خالد العمراني

تطرقنا في الجزء الأول من هذا المقال إلى مفهوم العمل وأنواعه في القرآن الكريم، وفي هذه الحلقة سنتطرق -بحول الله تعالى- إلى مبحث من الأهمية بمكان ألا وهو:

أثر استحضار المراقبة في توجيه العمل :

لا جرم أن المتتبع للقرآن الكريم يجده يرسخ عقيدة المراقبة في الأنفس وينميها ويذكر بها على امتداد الآي والسور؛ ولذلك فإننا نجده سبحانه وتعالى عقيب كل أمر أو نهي، أو حتى إخبار أو قصص يذيل الآيات بإعلامه سبحانه وتعالى بأنه سميع، بصير، عليم، خبير ....- وجلها على وزن فعيل؛ الذي هو من أبنية المبالغة كما هو معلوم - لا يعزب عنه من أحوالهم مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا أصغر منها ولا أكبر، حتى يستمر هذا الشعور يقظا في الأنفس وهاجا، يضيء كوامنها المظلمة لتسير على نور وهدى وبصيرة ومراقبة.

وإذا كان الإنسان في غياب الرقيب قد لا يتقن ولا يحسن، وقد يتعدى ويظلم، وقد يعصي الله تعالى... فإن من ترسخت في قلبه عقيدة المراقبة وتمكنت من نفسه؛ علم باطلاع الحق على سره وعلانيته، فكلما نزعت نفسه إلى المخالفة، أو مسه طائف من الشيطان، تذكر أن الله السميع البصير، العليم، الخبير، الرقيب، الحفيظ، الشهيد، المحصي، الباطن؛ مُطلعٌ على خلجاته وخفقاته يعلم خائنة عينيه وما يخفيه صدره، يسمعه ويراه، وتذكر قول الحق سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾(العلق 14) وقوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾(طه 46) فيستحيي أن يراه ربه على حال لا يرضيه، فإذا تيّقن من رؤية الله تعالى له؛ أصبحت مراقبة الله تعالى ملازمة له في كل حركاته وسكناته، وخلواته وجلواته؛ مما يجعله يرتقي في المقامات إلى أعلى درجات الإحسان، وذلك أجلى مظاهر المراقبة وأعلى ثمراتها.

من أساليب ترسيخ عقيدة المراقبة في القرآن الكريم:

للقرآن الكريم أساليب متعددة ومتنوعة في ترسيخ هذه العقيدة ، غير أن الإتيان عليها كلها في هذه العجالة؛ غير ممكن ولا يسعه المقام، ولذلك فإنه سيتم التركيز على بعض السياقات التي جاءت فيها مقرونة بـ (العمل) على اعتبار أنه المفهوم الذي نتناوله في هذه الحلقات:

1ــ إعلامه سبحانه وتعالى العباد بأنه بصير بما يعملون: أو (بما يعملون بصير) :

وتعددت الآيات المعلمة بذلك، إذ بلغت ما يقرب من العشرين آية؛ في سياقات مختلفة، تارة بضمير المخاطبين وتارة بضمير الغائبين؛ مما جاء حكاية عن حال اليهود والنصارى والمشركين، وهي كلها خاتمة لآيات تضمنت أوامر أو نواه أو قصصاً أو غير ذلك، لتَلْفت نظر الإنسان إلى هذه الصفة العظيمة لله سبحانه ألا وهي صفة البصير؛ ليتحقق بمقتضياتها وآثارها في نفسه، فيراقب الله تعالى في كل ما يأتي ويذر من فعل أو اعتقاد. من هذه الآيات قوله تعالى:

- ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(البقرة 96)
- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة 110)
- ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة 237)
- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة : 265)
- ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(المائدة 70 – 71)
- ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(هود 111 – 112)
- ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(الحديد 4).

والبصير: اسم من أسماء الله الحسنى، ومعناه - حسب أهل العقائد- أنه - سبحانه - (الذي أحاط بصرُه بجميع المبصَرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها ... .ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك . فسبحان من تحيرت العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبرته بالغيب، والشهادة، والحاضر والغائب، ويرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان وحركات الجنان، قال تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(الشعراء 218–220)، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾(غافر: 19)، ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(البروج 9)، أي مطلع ومحيط علمه وبصره وسمعه بجميع الكائنات)(1).

ومجمل ما جاء في التفاسير من معنى قوله: ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾أو ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ : أنه سبحانه (وصف نفسه بأنه بصير؛ على معنى أنه عالم بخفيات الأمور . والبصير في كلام العرب : العالم بالشيء الخبير به) الرازي فهو(ذو إبصار بما يعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمال الناس، بل هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر)، الطبري وسيجازيهم على الاحسان بما يستحقونه من الثواب، أو على الإساءة بما يستحقونه من العقاب، وقد تستعمل في التهديد والتوبيخ والإخبار بعذاب الله تعالى وعقابه إن جاءت في سياق الإساءة، وتستعمل في البشارة والإخبار بوعد الله تعالى وجزيل فضله إن جاءت في سياق الإحسان.

2 ــ إعلامه سبحانه وتعالى العباد بأنه (عليم بما يعملون): أو (بما يعملون عليم) :

وردت العبارة ثمان مرات في كتاب الله تعالى؛ منها قوله سبحانه وتعالى:

- ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(البقرة 283)
- ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(النساء 17).
- ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (يوسف 19)
- ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(سورة النحل 27 – 28)
- ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحج 67 - 68)

جاء في معنى اسمه الكريم؛ العليم: (انه المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم، وما لا يستطيعون إدراكه، من غير أن يكون موصوفا بعقل أو حس، وذلك راجع إلى أنه لا يعزب ولا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه إدراك شيء، كما يعجز عن ذلك من لا عقل له ولا حس له من المخلوقين، ومعنى ذلك أنه لا يشبههم ولا يشبهونه، قال أبو سليمان : العليم هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم .[...]. فالله تعالى هو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات، والممكنات، وبالعالم السفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيئ من الأشياء)(2).

وأورد الطبري بسنده إلى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿والله بما تعملون عليم﴾(قال : العالم الذي قد كمل في علمه)(3).

و(ختمت [الآيات] الكريمة بهذه الجملة السامية، للوعد والوعيد، ببيان علم الله ذي الجلال والإكرام المنتقم الجبار، علما دقيقا بما يعمله كل إنسان، يعلم الخير والشر، ويعلم ما تخفي الصدور، وما تكنه القلوب، وما يظهر على الجوارح، فيجازي على الإحسان إحسانا، وعلى السوء سوءا، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (4).

3 ــ إعلامه سبحانه وتعالى العباد بأنه خبير بما يعملون:

جاء ذلك في قول الله جل حلاله:

- ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(البقرة : 271).
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء 94)
- ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء 128)
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء 135)
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا. وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (الأحزاب 1 – 2)
- ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(الفتح 11)

ومعنى الخبير: (الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها، فكيف يخفى على اللطيف الخبير ما تحويه الضمائر وما تخفيه الصدور)(5).

([فينبغي على العبد أن يعلم أن صفة «الخبير» العالم بكل شيء هي صفة فعلية تختص بالله تعالى على] الكمال، وإنه سبحانه لم يزل خبيرا بمعلوماته من قبل أن يعلمها العلماء، وأنه المنفرد بذلك وأن يكون خبيرا بما يجري في عالمه؛ جوارحه وقلبه وبالخفايا التي يتصف بها القلب من الغش والخيانة والتطول حول العاجلة وإضمار الشر، وإظهار الخير،[....] ثم إذا علم أن الله مختبره فعليه الجزم عند مواقع الامتحان، وإظهار التجلد والصبر والمحافظة على الوفاء بالعهد)(6).

قال ابن عطية في قوله تعالى: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ (ختم الله بهذه الصفة لأنها تدل على العلم بما لطف من الأشياء وخفي)(7).

والمعنى: (والله بما تعملون [...] خَبِيرٌ يعني بذلك ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك، فهو بجميعه محيط، ولكله محص على أهله حتى يوفيهم ثواب جميعه وجزاء قليله وكثيره)(8).

المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته.

4 ــ إخباره سبحانه وتعالى العباد بأنه محيط بما يعملون:

قال تعالى:

- ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(آل عمران 120)
- ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾(النساء 107 – 108)
- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(الأنفال 45 – 47)
- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(هود 91 – 92):

والمحيط كما قال الخطابي : (هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه ، وهو الذي أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا . وهذا الاسم أكثر ما يجيء في معرض الوعيد، وحقيقته الإحاطة بكل شيء ، واستئصال المحاط به)(9).

(فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن الإحاطة بالحقيقة إنما هي لله عز وجل فيخضع لعظمته وجلالته، ويستسلم لأمره وينقاد لحكمه، خوفا من عذابه وعقابه، ويعلم أنه محصور مقهور محاط به)(10).

وبمناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(آل عمران : 120)؛ قال الطبري: (إن الله بما يعمل هؤلاء [...] من معاصي الله ، محيط بجميعه ، حافظ له لا يعزب عنه شيء منه، حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله ويذيقهم عقوبته عليه)(11). وقال السمرقندي -373ه: (يعني أحاط علمه بأعمالهم، والإحاطة هي إدراك الشيء بكماله)(12). وقال الطوسي- 460هـ : (معناه عالم به من جميع جهاته مقتدر عليه)(13) .

وقال ابن الجوزي – 597هـ : (قال أبو سليمان الخطابي : والمحيط : الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه ، وأحاط علمه بالأشياء كلها) (14).

ونقف عند هذا الحد، على أن نواصل بقية أساليب ترسيخ عقيدة المراقبة في القرآن الكريم في حلقة قادمة بحول الله ومشيئته سبحانه وتعالى.

---

1 – الجامع لأسماء الله الحسنى؛ ص: 47، دراسة وإعداد حامد احمد الطاهر . دار الفجر للتراث.

2 – الجامع لأسماء الله الحسنى؛ ص: 119 . 120، دراسة وإعداد حامد احمد الطاهر . دار الفجر للتراث.

3 – المعجم التاريخي لتفسير القرآن الكريم. جامع البيان للطبري بمناسبة قول الله تعالى: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ (البقرة : 282).

4 – المعجم التاريخي لتفسير القرآن الكريم. زهرة التفاسير لأبي زهرة. (ت 1394هـ) بمناسبة قول الله تعالى: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ (البقرة : 282).

5 – الجامع لأسماء الله الحسنى؛ ص: 119، دراسة وإعداد حامد احمد الطاهر . دار الفجر للتراث.

6 – الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، للإمام شمس الدين محمد بن احمد الأنصاري القرطبي. ص: 415، تحقيق الشيخ عرفان حسونة، المكتبة العصرية . صيدا بيروت

7 – المعجم التاريخي لتفسير القرآن الكريم.المحرر الوجيز لابن عطية؛ بمناسبة قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة : 271).

8 – المعجم التاريخي لتفسير القرآن الكريم.جامع البيان للطبري بمناسبة قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة : 271).

9 – المعجم التاريخي لتفسير القرآن الكريم، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

10 – الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، للإمام شمس الدين محمد بن احمد الأنصاري القرطبي. ص: 243، تحقيق الشيخ عرفان حسونة، المكتبة العصرية . صيدا بيروت

11 – المعجم التاريخي لتفسير القرآن الكريم.جامع البيان للطبري بمناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران : 120).

12 – المعجم التاريخي لتفسير القرآن الكريم. بحر العلوم للسمرقندي بمناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران : 120)

13 – المعجم التاريخي لتفسير القرآن الكريم. التبيان في تفسير القرآن للطوسي بمناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران : 120)

14 – المعجم التاريخي لتفسير القرآن الكريم. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي بمناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران : 120)

من المنهج النبوي في ترسيخ ثقافة التعاون وسلوك المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي 2

توجيهات نبوية لبناء مجتمع العلم والمعرفة

ذ. محمد البخاري

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»(رواه مسلم)

أعطى الوحي الإلهي أهمية كبيرة لطلب العلم والاشتغال به؛ وذلك لكونه السبيل الوحيد لإصلاح الفرد، وبناء مجتمع إسلامي قوي عبر ترسيخ سلوك القراءة والبحث العلمي .

وقد جاء في هذا الحديث قوله ﷺ : «.. ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا الى الجنة». فما دام العلم باقيا في الأرض ، فالناس على هدى ، وبقاء العلم ببقاء حملته ، فإذا ذهب حملته ومن يقوم به ، وقع الناس في الضلال.

وقال الحسن: "العلم علمان : علم على اللسان ، فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب، فذاك العلم النافع".

وسلوك الطريق لالتماس العلم؛ يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي كالسفر، والمشي إلى المدارس، والمساجد، والجامعات، وحضور الندوات، والمؤتمرات، واللقاءات العلمية، قصد طلب العلم والاستماع لأهله. ويشمل أيضا سلوك الطريق المعنوي المتمثل في قراءة الكتب، وفهمها، وحفظ ما يستوجب حفظه وتبليغه للناس، وهذا الحديث يعم الفرد، كما يعم الدولة التي يجب عليها أن تسلك طريق نشر العلم والمعرفة عبر سياسة تربوية ممنهجة، تنهل من هويتنا، وتاريخنا، وثقافتنا.

إن الاهتمام بالعلم يتطلب منهجا تربويا واضحا يهدف إلى توفير البنيات التحتية من مدارس، وجامعات، وتزويدها بالأجهزة اللازمة، والأطر البشرية المؤهلة، لتحقيق استقلالية الدولة في اتخاذ القرارات، وعدم الاتكال على غيرها في كل كبيرة وصغيرة. ولن تتقدم هذه الأمة قيد شبر ما لم تعد النظر في سياستها التعليمية، وتترك سياسة الإقصاء والتهميش للكفاءات العلمية، والتقليل من أهميتهم، والتحقير من شأنهم. فالعلم الذي يقصد به وجه الله يرشد صاحبه إلى طريق الهداية والخير، وهو عينه طريق الفوز بالجنة.

وعندما تخلت الأمة الإسلامية عن الاهتمام بالعلم؛ عم الجهل، وانتشر الفساد، فكثرت الجرائم، وظهر التطرف الفكري والفهم الخاطئ لأحكام الشرع، وقد تجلى هذا الأمر جليا عندما قررت بعض الدول محاربة مادة التربية الإسلامية في المدارس العمومية؛ من حيث تقليص عدد ساعات تدريسها إلى ساعة واحدة في الأسبوع، ومن حيث معامل النجاح فيها إذ أرجعته إلى معامل واحد إشعارا للتلميذ بعدم أهميتها، وكذلك من حيث مضمون مقرر هذه المادة الذي أفرغ من محتواه.

ولا شك أن هذه الدول استجابت بذلك لتوصيات خارجية، فكانت النتيجة أن الله ابتلانا بفئة جاهلة لأحكام الشرع استباحت دماء الناس بغير حق، ولم يكن هذا ليحدث لو كان التلميذ يتلقى الإسلام بأحكامه المقررة عند العلماء داخل حجرة الدرس، من مدرس متخصص يفهم مقاصد الشرع وقواعده العامة. فالانحراف الفكري والتطرف الديني أتى نتيجة إهمال الدول الأسلامية لسياسة تعليمية واضحة المعالم، تنطلق من خصوصيتنا الدينية واللغوية وتنفتح على ما عند غيرنا في مختلف المجالات المفيدة. وقد بين الرسول ﷺ هذا الواقع المر بقوله: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبضه بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

وقد حفز النبي ﷺ الأمة على الاشتغال بالعلم بقوله : «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده». ومعنى السكينة في الحديث الطمأنينة وشعور النفس بالراحة والارتياح. وغشيتهم الرحمة أي: أنها اكتنفت هؤلاء من جميع جهاتهم ومن فوقهم، فلا يتسلط عليهم الشيطان وهم على تلك الحال، فصارت الرحمة عليهم كالغشاء لا ينفذ إليهم غيرها.

"حفتهم الملائكة.." أي: تطوف بهم وتدور حولهم.

لعمري؛ إن هذا الجزء من الحديث أزال كل الأعذار التي يمكن أن نلجأ إليها لتبرير جهلنا وتخلفنا، وقد وضح بشكل صريح فضل طلب العلم والاشتغال به. فماذا ستقول أمة انتشرت فيها الأمية بنسبة فاقت نصف سكانها لربها بعد هذا الحديث؟

ويدل الحديث أيضا على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته ، إن حمل على تعلم القرآن وتعليمه ، وفي صحيح البخاري عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وإن حمل على ما هو أعم من ذلك، دخل فيه الاجتماع في المسجد على دراسة القرآن مطلقا.

وفي هذا السياق؛ ذكر حرب أنه رأى أهل دمشق وأهل حمص، وأهل مكة، وأهل البصرة، يجتمعون على القرآن بعد صلاة الصبح، لكن أهل الشام يقرءون القرآن كلهم جملة من سورة واحدة بأصوات عالية، وأهل مكة وأهل البصرة يجتمعون، فيقرأ أحدهم عشر آيات، والناس ينصتون، ثم يقرأ آخر عشر آيات، حتى يفرغوا. قال حرب: "وكل ذلك حسن جميل. وفي صحيح مسلم عن معاوية أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: "ما يجلسكم؟" قالوا: جلسنا نذكر الله عز وجل، ونحمده لما هدانا للإسلام ومن علينا به، فقال: «آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟» قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: «أما إني لم أستحلفكم لتهمة لكم، إنه أتاني جبريل، فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة».

والظاهر أن الحديث عام في طلب العلم النافع، سواء تعلق الأمر بالقرآن الكريم أو بالعلوم التي تساعد على فهمه وفهم سنته ﷺ بل يدخل في ذلك أيضا العلوم البحتة لتوقف مصالح الناس عليها، ولكونها تحقق للأمة الريادة والاستقلال بذاتها، وهذا من المصالح العامة التي يجب على الأمة الإسلامية أن تجعلها ضمن أولوية سياستها.

كما أن لفظ المسجد لا مفهوم له، إذ في عصر الرسالة كان المسجد هو المدرسة التي يتعلم فيها الصحابة رضوان الله عليهم أمور دينهم، وإلا فالفضل يشمل كل مكان يخصص لطلب العلم النافع؛ فالمسجد وسيلة فقط وهي تتغير بتغير الزمان والمكان، والمقصد ثابت وهو الاشتغال بالعلم ونشره، فإذا تحققت شروطه المطلوبة وهي: العمل بمقتضاه، والإخلاص في نشره ابتغاء وجه الله، وترك المباهاة به، وترك الأنفة من قول لا أدري، والتواضع به، واحتمال الأذى في تبليغه، والقصد إلى الأحوج فالأحوج أثناء التعليم. فإذا توفرت هذه الشروط نال صاحبها السكينة، وغشيته الرحمة، وحفته الملائكة، وذكره الله فيمن عند. وذكر الله لعبده : هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين ملائكته ومباهاته به وتنويهه بذكره. قال الربيع بن أنس : إن الله ذاكر من ذكره ، وزائد من شكره ، ومعذب من كفره ، قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾(الأحزاب: 41 – 43).

ونختم الكلام بما ختم به سيد الأنام هذا الحديث فقال ﷺ : «ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه». معناه أن العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ (الأنعام: 132)، فالعمل الصالح معيار لتمييز الصالح من الطالح، فمن أبطأ به عمله عن السير والإسراع إلى الله تعالى، لم يفده نسبه مهما كان عريقا أو شريفا في بلوغ تلك الدرجات وتبوؤ تلك المنازل، فإن الله تعالى رتب الجزاء على الأعمال، لا على الأنساب . قال تعالى : ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾(المؤمنون:101) وقد انشد بعضهم قائلا:

لعمرك ما الإنسان إلاَّ بدينه
فلا تترك التقوى اتِّكالاً على النسب
لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارس
وقد وضع الشرك النسيبَ أبا لهب

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ : حين أنزل عليه : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ الشعراء : 214). «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا"

إن من أهم الخلاصات التي يمكن الخروج بها من هذا الحديث ؛هو أنه لخص لنا التصور النبوي لبناء مجتمع مسلم قوي ويقوم هذا التصور على المبادئ التالية:

1 – ترسيخ ثقافة التعاون بين أفراد المجتمع المسلم.

2 – الإرشاد إلى سياسة تربوية متطورة تعتمد على القيم الإسلامية.

3 – ضرورة المزج بين العلم والعمل لتحقيق التقدم الدنيوي والفوز بالجنة.

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الاكتروني : www.almahajjafes.net
البريد الاكتروني : almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف : 0535931113
الناسوخ : 0535944454
الإيداع القانوني : 1994–61
رقم الصحافة : 91/11
الترقيم الدولي : 3627–1113
الطبع : إكوبرانت
التوزيع : سابريس

نحو تحديد منهجي لعلم السيرة النبوية الكاملة (*)

4 . استمداد علم السيرة النبوية لكاملة(2)

د. يسري إبراهيم

تحدث الدكتور يسري في الحلقة السابقة عن استمداد علم السيرة النبوية، وذكر من جملة ذلك أصلين هما القرآن الكريم وعلومه، ويواصل في هذه الحلقة تأصيله لاستمداد هذا العلم من علوم أخرى هي علم الحديث وعلم التاريخ العالمي وعلم التاريخ الإسلامي العام وتاريخ المدن، وعلوم الطبقات وتراجم الصحابة، وعلم الجغرافيا وكتب معاجم البلدان:

ثالثًا: الحديث النبوي الشريف وشروحه وعلومه، وكيف ذلك؟

تقدم أن العلاقة وثيقة بين السيرة والحديث، وأنه في مصطلح المحدِّثين قد تُعتبر السيرةُ جزءًا لا يتجزأ من الحديث النبويِّ(1).

فإذا اختيرَ- لسبب أو لآخَرَ- المغايرةُ أو العمومُ والخصوصُ والوجهيَّان بين الحديث والسنة من جهة، وبين السيرة النبوية من جهة أخرى؛ فإن علم الحديث والسنة- ولا بد- من أهمِّ وأولى موارد السيرة ومصادرها «ورحم اللهُ البخاريَّ الذي يُسمِّي كتابه: "الجامعَ المسندَ الصحيحَ المختصرَ من أمور رسول الله وسننه وأيامه"، ففيه أمورُ رسولِ الله ﷺ من قوله، وفعله، وتقرير أفعال أصحابه بالسكوت، وفيه كذلك: ذِكرُ أيامه، وما حدث في عمره الشريف، لا- فقط- من أحوال المسلمين أو العرب، بل- أيضًا- معلومات من البلاد المجاورة، مثل: الحبشة والروم وفارس وغيرها»(2).

وهذا يدل على أن السيرة تشمل الحديثَ والتاريخَ في مادَّتها، فهي عند بعض المحققين من فروع التاريخ، وعند بعضهم من فروع علم الحديث، وإن ذهب آخَرون إلى أن الحديث والسيرة مترادفان من حيث العموم والشمول، وإن اختلفا في منهج التأليف والتدوين، وطريقة التصنيف والتبويب(3).

وبالنظر إلى مادة بعض كتب الحديث يتحقق الباحث من غَناء مادَّةِ السيرة في علم الحديث ومتونه، وصِحاحه، وجوامعه، ومسانديه، وموطَّآته، ومُستدرَكاته، ومستخرجاته، وأجزائه، وسننه، ومعاجمه، على حدٍّ سواء!

فكتاب البخاري: الجامع الصحيح- الذي يُستسقَى بقراءته الغمامُ، والذي أجمع على قبوله وصحة ما فيه أهلُ الإسلام- يُورِدُ من الكتب والأبواب ما هو مَعِينٌ لا يَنضُبُ من مادة السيرة، ويكفي لإدراك ذلك أدنى مطالعة لأبوابه وفصوله، وصحيح مسلم بن الحجاج- صنو البخاري- في هذا المضمار مع زياداتٍ ومميزاتٍ في سرد الروايات، مع اقتصار على الصحيح المجرَّد من أقوال الصحابة، وفتاوي التابعين، ثم تأتي بعدهما سائر الكتب التسعة المشهورة.

ومادة السيرة الحديثية تعتمد الإسناد، وهذا ما لا يوجد- غالبًا- في مادة السيرة التاريخية، فرحِمَ الله المحدِّثين فقد أدَّوُا الأمانةَ- على وجهها- بنقل الأسانيد محكومًا عليها تارةً، ومتروكةً لمن يميزها تارةً أخرى.

ومادة السيرة الحديثية متنوعةُ المناهج من حيثُ التصنيف والتأليف، فتارةً تأتي الرواياتُ على أسماء الصحابة والصحابيات، وأخرى توضع بترتيب الفقة في الموضوعات، ولكل طريقة خصائصُ ومميزاتٌ.

وهي- بعد ذلك- مادة معتنية بوصف الهدي النبويِّ ولكن على غير جهة الاستقصاء في ترتيب الأحداث وتصنيفها بحسب تتابع وقوعها، وهو ما تمتاز به كتبُ السيرة غالبًا.

وبالجمع بين مصدَرَي الوحي- في تدوين السيرة النبوية- تتحقق مصالحُ مرعيةٌ من تحديد الإطار العام، وانضباط سياق الرواية التاريخية، وبالعناية بالهدي والسَّمت النبويِّ- إضافةً إلى منهج الإسلام في إدارة الحياة بأسرها- تجتمع الجوانب الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، إلى الجانب الديني والإيماني في حياة خير البرية، فتجتمع أوصال السيرة النبوية نبراسًا يضيء دياجيرَ الحياة، ويقدِّمُ القدوةَ لأجيال الأمة؛ ما امتدت بهم على الأرض الحياةُ.

وكما كان علم الحديث رافدًا أصيلًا في مادة السيرة النبوية ومواردها؛ فإن علم السيرة النبوية- أيضًا- كان أحدَ أهمِّ أدواتِ منهج أصولِ الحديث ومصطلحِه التي يُعَوَّلُ عليها في التمييز بين المقبولِ والمردودِ من الأحاديث والروايات على صعيد السند والمتن.

وقد ساق العلماء- من أسباب إعلالِ الحديث وتوهينه ما استفادوه من السيرة القرآنية والنبوية القطعية- ما كان له أكبرُ الأثر في نقدِ الأسانيد والمرويَّات معًا(4).

ولا شكَّ أن علمًا كعلم أسباب ورود الحديث يقف جنبًا إلى جنب مع علم أسباب النزول في الآيات القرآنية، في بيان أهمية معرفة الوقائع والأحداث المرتبطة بالوحي- قرآنًا وسنة- بل إن السيرة النبوية خاصة هي المرجع في بيان ومعرفة أسباب ورود الحديث النبوي الشريف(5).

ومثل هذا القول يتأتَّى في علم الناسخ والمنسوخ من الأحاديث والآثار؛ إذ النسخ لا يصار إليه بالاجتهاد، وإنما يصار إليه عند معرفة التاريخ(6).

كما أن السيرة بمروياتها وكتبها المستقلَّة- كمروياتِ عروةَ بن الزبير، وابن شهاب الزهري، وموسى بن عقبة، وابن اسحاق، والواقدي، والطبري، وغيرهم- تُعتَبَرُ المعوَّلَ الأهمَّ- بعد القرآن والسنة- في شرح المرويات المتعلقة بالسيرة في كتب الحديث(7).

رابعًا: علم التاريخ العالميِّ والإسلاميِّ العامِّ وتاريخ المدن:

كُتُبُ التاريخ العالميِّ للأمم- قبل الإسلام وبعد الإسلام- تناولتْ طرفًا من أحداث السيرة النبوية بشيء من البيان وجمع المعلومات، وغالبًا ما بدأت تلك الكتبُ الجامعةُ ببدء الخليقة، وانتهت بزمن مؤلِّفها، وهي على هذا النحو كتبٌ تَجمَعُ بين السيرة والتاريخ.

وكتبُ التاريخ العامِّ التي كتبها مسلمون أَوْلَتْ هذه الفترةَ الزمنيةَ مزيدَ عنايةٍ وبيانٍ.

ومن أشهر تلك الكتب- عند المسلمين-: «تاريخ الأمم والرسل والملوك» للإمام ابن جرير الطبري (310هـ)، وهو محدِّثٌ فقيهٌ، ومجتهدٌ مفسِّرٌ، وكتابه جامعٌ لِمَا صحَّ من الأخبار وما ثبت، وما ليس كذلك؛ لذا فهو بحاجة لتحقيقٍ وتدقيقٍ من أهل الاختصاص الحديثيِّ(8).

ومن تلك الكتب- أيضًا-: تاريخ خليفة بن خياط (240هـ) وقد بدأه بالكلام على التاريخ الهجري، ثم كتب عن السيرة فصلًا قصيرًا في نحو الخمسين صفحة.

ومنها- كذلك-: التاريخ الكبير للبخاري (256هـ)، والتاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (279هـ)، والبداية والنهاية لابن كثير (774هـ)، وتاريخ الإسلام للذهبي (748هـ)، وغيرها مما يَرْوِي الصحيحَ والحسنَ والضعيفَ بأنواعه(9).

وأما كتب تاريخ المدن فيُقصد بها تاريخ الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) وما ورد فيهما من أخبار وآثار، وقد عُنِيَ المسلمون بتاريخ المدينتين؛ لِمَا لهما من مكانة شرعية خاصة، فهما الحرمان الشريفان، ومتنَزَّلُ الوحي والقرآن، ومكةُ قبلةُ المسلمين، والمدينةُ مهاجرُ النَبيِّ الكريم، وفيهما جُلُّ أحداث السيرة المشرفة.

فلا عجبَ أنْ أَلَّفَ المسلمون في تاريخهما قبل الإسلام وبعده، ومن أهم تلك المؤلفات:

- أخبار مكة، للواقديِّ (207هـ).
- أخبار مكة، للأزرقيِّ (250هـ).
- تاريخ المدينة، للحسن بن خلف الواسطيِّ (246هـ).
- أخبار المدينة، لعمر بن شبة (262هـ).
- فضائل مكة المكرمة، وفضائل المدينة المنورة، وكلاهما للمفضل الجندي، محدِّث مكة (308هـ)، وأغلب تلك المؤلفات مطبوعةٌ ومحقَّقةٌ(10).
- تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار، لابن النجار (643هـ).

وقد نظمت منظومات في تاريخهما وفضلهما معًا.

وهي تمثل بجملتها مددًا مهمًا للباحثين في السيرة، وتاريخ الحجاز قبل الإسلام وبعده.

خامسًا: علوم الطبقات وتراجم الصحابة :

لعلوم الطبقات والتراجم والأنساب لصحابة النبيِّ ﷺ أثرُهَا في إمداد السيرة بروافد معلومات تُثري مصادرَ السيرة النبوية الكاملة؛ حيثُ إنَّ مناقبَ الصحابة وشريفَ مآثرِهم هي بالارتباط بالإسلام ونبيِّه .

وكثيرًا ما تأتي كثير من تفاصيل الوقائع النبوية في سياق ما يُروَى عن الصحابي وسيرته، وتاريخ إسلامه، ونصرته لدينه ونبيه، وما وقع له في أثناء حياته من أحداث تؤكِّدُ معلومات السيرة، أو توضِّحُها، أو تُقَيِّدُها، أو تُنَبِّهُ على أمر منها، وهذه الفوائد لا يُستغنَى عنها حينَ يُرادُ للسيرة الكاملة أن تُكتَبَ، وأن تُسبَكَ فيها مواقفُ النبيِّ وأصحابه معه رضوان الله عليهم.

ومن أهم كتب الطبقات والتراجم التي عُنِيتْ بالصحابة :

- الطبقات، لمحمد بن عمر الواقديِّ (207هـ)، وقد أكثر محمد بن سعد النقلَ عنها في كتاب الطبقات الكبرى(11).
- الطبقات، للهيثم بن عَدِيٍّ (207هـ)(12).
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد (230هـ(13).
- الطبقات، لعليِّ بن المديني (233هـ)(14).
- طبقات إبراهيم بن المنذر (236هـ)(15).
- طبقات خليفة بن خياط العصفريِّ (240هـ)(16).
- طبقات مسلم بن الحجاج القشيريِّ (261هـ)(17).
- طبقات أبي بكر البرقيِّ (270هـ)(18).
- طبقات أبي حاتم الرازيِّ (277هـ)(19).
- طبقات أبي زرعة الدمشقي (282هـ)(20).

ولا يخفى أنَّ عددًا من الكتب قد أُفْرِدَتْ في مناقب الصحابة منفردينَ ومجتمِعِينَ؛ كالأربعة الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشَّرِينَ، والأنصار، والمهاجرينَ.

سادسًا: علم الجغرافيا وكتب معاجم البلدان:

المؤلفات في جغرافية السيرة النبوية تأخَّرَتْ بعضَ الشيء عن الفترة التي ندرسها، وحتى مَن صَنَّفَ في ذلك لم يَقصِدِ التعريفَ بمواقع السيرة وحدَها، بل خلطها بغيرها، وهذا صنيعُ أبي عبيد البكريِّ (487هـ)، في (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع)، وياقوت الحموي (626هـ)، في (معجم البلدان)، فقد ورد بهما تعريفٌ لقسطٍ لا بأسَ به من مواضع السيرة(21).

وبما أنَّ متطلباتِ الدراسة العلمية للسيرة النبوية أصبحت تُوجِبُ تدقيقَ وضَبْطَ أسماء المواضع؛ فإن القيام بهذه الدراسة تَفرض الاعتمادَ على الدراسات الحديثة، والمتخصصة في جغرافية الجزيرة العربية في أفقِ إدماجِ هذه الدراساتِ ضمنَ مصادرِ السيرةِ النبوية المعتمدة.

وقد بذل العديدُ من العلماء- قبلَ عقودٍ قريبةٍ- جهودًا مشكورةً في هذا المجال، مثل: أبي الحسن الندويِّ، وأبي الأعلى المودوديِّ، والدكتور محمد حميد الله، من خلال زياراتهم للمواقع، وضَبْطِها، ورسم أشكالٍ تقريبيَّةٍ للجزيرة العربيَة، بقبائلها، وتضاريسها، وخرائطِ المغازي والسرايا.

ومن الدراسات المهمة في هذا المجال: أبحاثُ الأساتذة: محمد الشايع، وحمد الجاسر، ومحمد بن بليهد، وسعد بن جنيدل، وعبد الله بن خميس، وأخيرًا: شوقي أبو خليل في أطلس السيرةِ النبويةِ(22).

× المحاضرة الافتتاحية للمؤتمر العالمي الثاني للباحثين في السيرة النبوية الذي نظم بفاس أيام 26-27-28 محرم 1436 الموافق 20-21-22 نونبر 2014.

---

1 – السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة، لمحمد أبي شهبة (ص27).

2 – من مقدمة سيرة ابن إسحق، تحقيق: محمد حميد الله (ص: ط).

3 – مصادر السيرة النبوية، د. عبد الرزاق الهرماس (ص75–71).

4 – يراجع- على سبيل المثال-: ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة (2/251).

5 – يراجع- على سبيل المثال-: أسباب ورود الحديث، للسيوطي، بتحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط: دار الوفاء، (ص–326 327).

6 – فتح المغيث، للسخاوي، ت: د. عبدالكريم الخضير، د. محمد الفهيد، دار المنهاج، الرياض، ط1 (3/449).

7 7/279–7 519).

8 – مصادر السيرة النبوية وتقويمها، د. فاروق حمادة (ص129–128).

9 – السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله (ص39–37).

10 – مناهج المؤلفين في السيرة النبوية، د. سعد المرصفي (ص–74 75)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله (ص36–35) .

11 – الفهرست، لابن النديم (ص151).

12 – نفسه (ص152).

13 – أول مَن نشره هو المستشرق الألماني (ساخاو) وتلامذته، ما بين (1904م1918–م)، وعن هذه الطبعة نقلت طبعة دار صادر في بيروت، وطبعة دار التحرير بالقاهرة، مع حذف تعليقات المستشرقين، وهذه الطبعة ناقصة في أماكنَ كثيرة، وقد قام الدكتور زياد محمد منصور بنشر القسم المتمِّم لتابعيِّ أهل المدينة ومَن بعدهم، كما قام الدكتور محمد بن صامل السلمي بتحقيق جزء الطبقة الخامسة من طبقات الصحابة، وهي بعنوان: مَن تُوفِّيَ عنهم رسولُ الله ﷺ وهم أحداثُ أسنانٍ، وأصلها- كذلك- رسالة علمية في جامعة أم القرى، وحقَّق الدكتور عبد العزيز السلومي الطبقة الرابعة من الصحابة الذين أسلموا عند فتح مكة، وما بعد ذلك، وقد قام بعض أصحاب المطابع بجمع هذه النواقص، وإلحاقها بالأصل في طبعات تجارية، لم تنل بعدُ عنايةَ لدارسين والمحققين المختصين.

14 – فهرست ابن خير الإشبيلي (ص225).

15 – بحوث في تاريخ السنة المشرفة (ص74).

16 – تحقيق وتقديم، د. أكرم ضياء العمري، نشر دار طيبة، الرياض، ط1، 1967م.

17 – مقدمة تحقيق الطبقات، لخليفة بن خياط، د. أكرم ضياء العمري (43م).

18 – نفسه (74).

19 – نفسه (74).

20 – بحوث في تاريخ السنة المشرفة (ص75).

21 – ذكر ياقوت في مقدمة معجمه: أن من أسباب تأليفه للكتاب: خلافًا كان بينه وبين أحد معاصريه، حول ضبط اسم (حباشة) بالشكل، وهو موضع سافر إليه النبيُّ ﷺ قبل بعثته. معجم البلدان (11–1/10)، وفي الفائق، للزمخشري، رواية عن عائشة : «أنَّ أخاها عبدَ الرحمن تُوفِّي بالحبشَى على رأس أميالٍ من مكةَ»، انظر: الفائق في غريب الحديث (3/25).

22 – راجع للأستاذ الشايع: نظرات في معجم البلدان، وعكاظ.. الأثر المعروف سماعًا والمجهول مكانًا، وبين اليمامة. وللأستاذ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية، ومدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، وكذا مقالاته في مجلة العرب، وفصلية الدَّارة، وغيرها.

شعبان مطية الصالحين إلى رمضان

عبد الحميد الرازي

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي بيده الفَضْلُ والأمرُ، فضَّل شَهرا على شَهرٍ، وخَصَّ بعضَها بمَزيد من الأجْرِ والثَّواب.

عَباد الله: أقبل شهر شعبان، ليوصلنا إلى رمضان، فكيف يحياه أهل الإيمان؟

أهل الإيمان لهم أعمال وقربات وطاعات، يتقربون بها إلى ربهم، ويتعرضون بها لما يجلب لهم رضا خالقهم، فهم يعرفون حقيقة شهر شعبان الذي حدثت فيه أحداث ووقائع جسام.

شعبان شهرٌ يسبق رمضان :

قال أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه : «يَا رَسُولَ الله! لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟، قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ» (سنن النسائي)

عباد الله: أهل الهمم العالية يعلمون: أنّ عملهم في شعبان ما هو إلاّ حفاوة في استقبال شهر الصيام والقرآن والبر والإحسان، وذلك بالتطوع بالصيام والأعمال الصالحة، فعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ -أي في بقية الأيام، والشهور- حَتَّى نَقُولَ: لا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ:لا يَصُومُ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ»(مسلم).

قال رَسُول الله ﷺ: «إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ، فَلا تَصُومُوا»(سنن أبي داود).

أمّا يومُ الشكّ؛ فعَنْ صِلَةَ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ عَمَّارٍ رضي الله عنه فَأُتِيَ بِشَاةٍ مَصْلِيَّةٍ -أي في الثلاثين منَ شعبان، ومصلية أي مشوية-، فَقَالَ: "كُلُوا"فَتَنَحَّى بَعْضُ الْقَوْمِ، قَالَ: "إِنِّي صَائِمٌ"، فَقَالَ عَمَّارٌ: «مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ» (رواه النسائي وأبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن)

شهر شعبان! يذكرنا معشر المؤمنين بأولى القبلتين وثالث الحرمين، وتحويل قبلة الصلاة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، فقد كان بيتُ المقدس قبلةَ المسلمين، لبضعةَ عشرَ شهرا، وكان ﷺ يجولُ ببصره إلى السماء، ويحبُّ أن تكونَ قبلة الصلاة إلى البيت الحرام، وينتظرُ الأمرَ من السماء، فنزل قول الله تعالى: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ»(البقرة: 144).

قال ابن كثير: "وفي شعبان من هذه السنة -أي السنة الثانية من الهجرة- حُوِّلَت القبلةُ من بيت المقدس إلى الكعبة، وذلك على رأس ستةَ عَشَرَ شهراً من مَقْدَمه المدينة" وقيل: سبعةَ عشرَ شهراً. وهما في الصحيحين.

وكان أَوّل من صلّى إلى المسجد الحرام أبو سعيد بنُ المعلّى، وصاحبٌ له، كما رواه النسائي قالا: "وذلك أنّا سمعنا رسول الله ﷺ يخطُبُ الناسَ ويتلو عليهم تحويل القبلة، فقلت لصاحبي: "تعال نصلي ركعتين -أي في المسجد الحرام - فنكونَ أوّل من صلى إليها، فتوارينا وصلينا إليها".

ثم نزل رسول الله ﷺ فصلى بالناس الظهر يومئذ"(الفصول في السيرة، ص: 127).

إنهم أهل الهمم العالية، يسارعون إلى الخيرات وهم لها سابقون.

أهل الهمم العالية يبتعدون عن الأخلاق الذميمة، والصفات القبيحة، وفي مواسم الخير على وجه الخصوص، فلا يشركون بالله تعالى، ولا مشاحنة عندهم، ولا ابتداع؛ لأن غايتهم أن يعفو الله تعالى عنهم ويغفر ذنوبهم، ذلكم أن ليلة النصف من شعبان لها شأن عظيم؛ قال ﷺ : «إِنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ؛ إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»(ابن ماجة)

وأَكّدَ ذلك ﷺ مبينا المحرومين من المغفرة بقوله: «يَطَّلِعُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُمْهِلُ الْكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ»(صحيح الجامع (831)،

يترك الحاقدين حتى يتركوا أحقادهم، ويطهروا منها قلوبهم :

قال ابن الأثير: المشاحن: هو المعادي، والشحناء: العداوة.

عباد الله:

من الواجب على أهل الصلاح وأصحاب الهمم العالية: أن يجتنبوا الذنوب التي تحول بين المغفرة، وقبول الدعاء.

واجب على أهل الصلاح وأصحاب الهمم العالية أن يبتعدوا عن المعاصي التي تحول دون المغفرة ومنها:الشحناء! وهي حقد المسلم على أخيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

وقد فسّر الأوزاعيُّ هذه الشحناءَ المانعةَ؛ بالذي في قلبه شحناء لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ريب أن هذه الشحناءَ أعظمُ جرما من مشاحنة الأقران بعضهم بعضا.

وعن الأوزاعي أنه قال: «المشاحن كلُّ صاحب بدعة فارق عليها الأمة».

فهنيئا لأصحاب الصُدُور السليمة من أنواع الشحناء كلها، ثم يلي ذلك سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين، وإرادةُ الخير لهم، ونصيحتُهم، وأن يحبّ لهم ما يحبُّ لنفسه، قال الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(الحشر: 10).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: «أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ؛ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟! قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لا إِثْمَ فِيهِ وَلا بَغْيَ، وَلا غِلَّ وَلا حَسَدَ»(سنن ابن مَاجَةَ)

قال بعض السلف:"أفضلُ الأعمال سلامةُ الصدور، وسخاوةُ النفوس، والنصحُ للأمة".

وبهذه الخصال بلغ من بلغ، وليس بكثرة الاجتهاد في الصوم والصلاة.

عباد الله:

لنجتنب ذنوبا تحرمنا من مغفرة ربنا الغفار، في مواسم التوبة والرحمة، والاستغفار.

قال الله تعالى في معرض حديثه عن الشرك وعاقبته: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾(المائدة: 72)

وأما القتل؛ فقد ورد في سنن الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ».

وأما الزنا؛ فلنحذر كل الحذر من التعرض لسخط علام الغيوب، فالخلق كلهم عبيد لله وإماؤه، والله يغار، قال ﷺ : «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ؛ أَنْ يَرَى عَبْدُهُ أَوْ أَمَتُهُ تَزْنِي، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»(صحيح البخاري)

وهذا هو السر في النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

عبادَ الله:

إنَّ شعبانَ "شَهرٌ يغفُلُ النَّاسُ عنه" كما وَصَفَهُ رَسُولُ الله ﷺ وهنا لفتةٌ يَذْكُرُها العُلَمَاءُ دائماً وهي استحبابُ عِمَارةِ أوقاتِ غفلةِ الناسِ بالطَّاعات، وأنَّ ذلك محبوبٌ عندَ الله عزَّ وجلَّ، وسببُ التَّفضيل أنَّ الطَّاعاتِ في وقتِ غفلةِ النَّاسِ أخفَى، وإخفاءُ العملِ وإسرارُهُ أدعى للإخلاص والقَبُول، وأبعدُ عن الرِّياء، والعملُ الصَّالحُ في وقتِ غفلةِ الناسِ شاقٌّ على النُّفوس فكانَ أجرُهُ أعظمَ، لقولِ النبيِّ ﷺ لعائشةَ رضي اللهُ تعالى عنها: «إِنَّ لَكِ من الأجرِ على قدْرِ نَصَبِكِ ونفقتِكِ».

فاللهمَّ أعنَّا جميعا على ذكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عبادتك.

ورحم اللهُ ابنَ رجبٍ حين قالَ في لطائف المعارف:

يكفيك حرمانُ المغفرة في أوقات مغفرة الأوزار

خابَ عبدٌ بارَزَ المَوْلَى بأسباب المعاصي

ويحَه ممّا جناهُ لم يخفْ يومَ القصاص

يومٌ فيه ترعدُ الأقدام من شيب النواصي

لي ذنوبٌ في ازديادٍ وحياةٌ في انتقاص

فمتى أعملُ ما أعلمُ لي فيه خلاصي؟!

ورحم الله ابن الجوزي حيثُ يقول في كتاب التبصرة: "فيا أيها الْغَافِلُ! تَنَبَّهْ لِرَحِيلِكَ وَمَسْرَاكَ، وَاحْذَرْ أَنْ تُسْتَلَبَ عَلَى مُوَافَقَةِ هَوَاكَ، انْتَقِلْ إِلَى الصَّلاحِ قَبْلَ أَنْ تُنْقَلَ، وَحَاسِبْ نَفْسَكَ عَلَى مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ، وَلا تَغْفُلْ عَنِ التَّدَارُكِ؛ الله الله لا تَفْعَلْ".

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه كان غفارا.

الخطبة الثانية:

أمَّا بعدُ: فاتَّقوا اللهَ عبادَ الله، واحمدوا اللهَ على نِعَمة الصِّحَة والفراغ فكلُّ يوم لنا في هذه الدُّنيا فهو غنيمةٌ للتَّزوُّد من الصَّالحات، قال اللهُ تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾(الفرقان: 62

شعبان فرصة أهل الصلاح، ولسان حالهم يقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾(إبراهيم: 38)

استجابوا حين ناداهم العلي القدير، وأخبرهم أنه يعلم السر وأخفى فأيقنوا وعملوا: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(البقرة: 270 - 271).

أصحاب الهمم العالية واليقين الصافي علموا فترجموا علمهم إلى أفعال، علموا أنّ إخفاءَ الطاعات أحرى وأجدرُ في قبولها، فستروها عن أعين العباد لكي لا يراها غير رب العباد، ولله در ابن رجب حين قال في لطائف المعارف: (كم ستر الصادقون أحوالهم، وريحُ الصدق يَنمُّ عليهم، ريحُ الصيام أطيبُ من ريح المسك، تستنشقه قلوبُ المؤمنين وإن خفي، وكلما طالت عليه المدة؛ ازدادت قوة ريحه)، (لطائف المعارف، ص: 132)

أيُّها المؤمنون:

ضيفُنا المُبارَكُ وغائبُنا الحبيبُ سَيحلُّ بنا بعدَ أيام معدودات! وما أسرعَ قُدُومَهُ أفلا يَحسُنُ بنا أن نَستعدَّ ونَتَهيَّأَ لهُ؟ ألا وإنَّ ممَّا يُسنُّ عَمَلُه في شعبانَ الإكثارُ من قراءة القرآن، قال أنسُ بنُ مالك رضي الله عنه : «كانَ المُسلمُون إذَا دَخَلَ شَعبَانُ أَكَبُّوا على المَصَاحف فَقرؤوها، وأَخرجُوا زَكاةَ أموالِهم تَقويَةً لِضَعِيفِهم على الصوم».

وقال ابنُ كُهَيلٍ: «كان يُقَالُ شَهرُ شَعبَانَ شَهرُ القُرَّاء».

اللهُ أكبرُ .. ما أدقَّ فهمَ السَلَف لشرع الله! وما أحرصَهم على تَحقيقِ التَّقوى والإيمان! كُلُّ ذلكَ تَمريناً للنَّفس وتَهيئَةً لها على البقاءِ مع القرآن لفترةٍ أطولَ في شَهرِ القُرآن!

فيا أيُّها الأبرارُ: علينا في هذا الشَّهر بالتَّصافي والتَّواد، والمَحَبَّة والرحمة، علينا بالتَّوبة الصَّادقةَ النَّصوح، والاستغفارِ من جميعِ الآثام، فرمضانُ سَيَحلُّ بنا قريباً، إن كَتَبَ الله لنا الحياةَ فلنهيئ أنفسَنا، ولنقدِّر نعمة الله علينا، ولنسأله جل وعلا أن يُبَلِّغنا رمضانَ، وأن يُعيننا فيه على ذكره وشكره وحسن عبادته.

إذا أنتَ لم تزرع وأبصرتَ حاصداً

ندمتَ على التفريط في زمن البذرِ

اللهم بلغنا رمضان واحشرنا مع الأبرار.....

منزلة العِلم (الأخيرة)

بالعِلم المفيد تكتسب الربانية

فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

1 - منزلة العلم منزلة ربانية:

عندما ترى من له علم بالكتاب أو السنة، ولكن لا يتحلى بالرَّبَّانية، فاعلم أنه لم يسلك الطريق الحقيقي للعلم، ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أو ﴿تَعَلَّمُونَ الْكِتَابَ﴾، أو ﴿تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، العالم بالله، أو العارف بالله هو الذي سلك بعلمه إلى الله عز وجل، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، لأن زيادة العلم تكون بالإيمان، والعلم الذي لا يزيد صاحبه إيماناً ليس بعلم في التعريف الرباني للعلم، من هنا أصدر العلماء قاعدة عجيبة، قالوا فيها: (كل علم ليس تحته عمل فهو باطل)، أي علم في الشرع لا يزيدك إيمانا وعملا فهو باطل، لا حاجة لك به، وهذا منهج قرآني ونبوي، فحينما سأل الناس النبي ﷺ عن الروح، ماذا يعملون بها؟ -علم لا ينفع-، لماذا؟ لأنه يستحيل على العقل البشري تحصيل الفائدة ويستحيل عليه الإحاطة والإدراك، ولذلك فهذا مما لا ينبغي للإنسان أن يسأل عنه، فكان أن أجاب الله عز وجل عنه بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وأغلق الباب في وجه كل طالب علم ليس وراءه عمل، لأنه يضيع عمره كاملا وهو يبحث في ذلك المجال ولا يصل لشيء، فيبقى دون عمل، ودون إيمان ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا، إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾، لا يمكن نهائيا للإنسان أن يعمل في طريق الإيمان وهو يبحث عن الساعة، لكن يستفيد من أماراتها كما في حديث جبريل لما سأله عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، -أنا وإيَّاكْ مُتساويين في الجهل بها- « ... قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان...» إلى آخر الحديث، أعطاه الأمارات، وهذه الأمارات مُشَجِّعات على العمل، الإنسان عندما يرى الدنيا تتقلب وتتبدل، عليك بالمساجد وبالذكر، تلك نُذُر من الله أن قد اقترب موعدها، فالمؤمن الكيس الفطن من يرى أن الحقائق التي تقع إنما هو الربُّ عزّ وجلّ يتصرف في ملكه، لا يظن أحد أن دولة ما تملك قراراتها، أو أن حكومة فعلت شيئا بقدرتها وذكائها، ولكن الله عز وجل يُقدِّر مقاديره في الكون، ويتصرف فيه، ويهيئ له أسباب الحق وأسباب الباطل على أيدي عباده فتنة وابتلاء ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، المؤمن إذن من يرى الوجود على أنه خيوط، حركاته، سكناته، أحياؤه، نباته، جماداته، خيوط كلها تنتهي إلى يد الرحمن رب الكون سبحانه وتعالى، إذن **العلم المفيد هو الذي يَسلُك بك إلى الله عز وجل وتكتسب به الربانية، الانتساب إلى الرب سبحانه وتعالى، يعني أن تكون عبدا لله، مرتبة عُليا من مراتب العبادة الربانية**، من يُربي بصغار العلم قبل كباره، يكتسب خُلُق كل واحدة ثم ينتقل للأخرى، يكتسب خُلُق الصغيرة كي يُحصِّل القدرة ويصعد درجة، هذه سلوكات، ومهارات وقُدرات، الطفل الصغير الذي مثلنا به سابقا، لم تكن لديه معرفة لصعود درجة، ولكنه اكتسبها، وحينما اكتسبها صار يتعلم اكتساب الدرجة الثانية، ولا يمكن أن يفكر في الدرجة الثالثة حتى يُحَصِّل معرفة صعود الدرجة الثانية، يُربي بصغار العلْم قبل كباره كما هو منهج النسخ في القرآن.

العلم الذي لا يزيد صاحبه إيمانا ليس بعلم في التعريف الرباني للعلم، من هنا أصدر العلماء قاعدة عجيبة، قالوا فيها: (كل علم ليس تحته عمل فهو باطل)، أي علم في الشرع لا يزيدك إيمانا وعملا فهو باطل، لا حاجة لك به، وهذا منهج قرآني ونبوي

2 - علم الآخرة هو غاية العلم :

والعلم الذي نتحدث عنه هو علم الإيمان الذي يملأ القلب والوجدان بِحُبِّ الله عز وجل، ويُعلِّقُه بالمساجد، «ورجل قلبه مُعلّق بالمساجد»، ويملأه بحبّ الله عز وجل وبالرغبة في الدار الآخرة، وهذه درجة أخرى من العلم الرباني الذي يُعطي هذه المنزلة، منزلة الإيمان الربانية، إنه علم الآخرة، كما في الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ : «إن الله يبغض كل جعظري جواظ، صخاب بالأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة»(رواه البيهقي في السنن وابن حبان في صحيحه.. وقال عنه الألباني في صحيح الجامع: صحيح)

الإنسان الخبيث، الذي صوته يعمر الدنيا بالآثام، وأخلاقه خشنة، قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام: عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة، فعالم الدنيا يعرف أمور الدنيا، لا يخدعه الناس وهو يخدع الناس، هذا عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة، لأن له الرّغبة في الخداع والغش، همه الدنيا ولا يلتفت للآخرة، فهناك العالم بالآخرة وهناك الجاهل بالآخرة،

إذن قد يكون الإنسانُ عالماً بمعنى حافظاً لكثير من النصوص وكثير من الفقه، ولكنه جاهل بالآخرة، فإذن ما العلم الذي يوصل إلى الآخرة؟ إنه علم الربانية، الذي يُربِّي بصغار العلم قبل كباره، ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، فعلم الآخرة إذن هو غاية العلم، فأي شيء يريد الإنسان أن يتعلمه يجب أن يسأل: ما حظّه من الآخرة؟ هذه الصنعة، هذه الحرفة، هذا العلم، هذه الخطوة، هذا الشغل، ما موقعه من الآخرة؟ طبعا لا يُعرف هذا إلا بعلم الكتاب، إلا بمعرفة الحلال والحرام، ومعرفة الحلال والحرام عندها حقائق، حقائقها هي هذه، تسأل عن وضعها في الآخرة، والمؤمن هو الذي يَحمِلُ همّ الآخرة، ومن جعل همَّه همّاً واحداً، أي همّ الآخرة، كفاه الله هموم الدنيا والآخرة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم هماً واحداً، هم آخرته، كفاه الله هم دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك « (رواه ابن ماجه وهو صحيح) ، كفاه الله هم دنياه معناه أن الإنسان لا يتصرف تصرفاً دنيوياً إلا على وزان الآخرة، وقواعد اليوم الآخر على هذا الوزان.

3 - العلم بحقائق الدين لا برسومه وأشباحه :

إذن وعلى هذا المعنى قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وإنما أداة حصر، بمعنى أنه من يخاف الله حقيقة من الناس هم العلماء، وبعض الناس يَستشكِل هذا، يقُول: هناك كثير من العلماء ولكن لا نرى فيهم خوف الله؛ العلماء هنا هم العلماء بالله، هم العلماء بحقائق الدين لا برسومه وأشباحه، العلماء بالله، هم العلماء بالآخرة، عندما أنكر الكفار ما أنكروا، واستهزؤوا بالرّسل، وفعلوا ما فعلوا، وتبعهم المنافقون في ذلك، قال لهم الله عز وجل ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، وهل كفّار هذا الزّمان ليسوا بعلماء؟ بل كثير منهم علماء، ولكن ليسوا علماء بالله، ولا هم علماء باليوم الآخر، كثير منهم علماء بيولوجيون وجيولوجيون، ولكن ما قادهم ذلك إلى الله عز وجل بل ضلوا به ضلالاً بعيداً، فلا ينطبق عليهم قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، لأنهم ليسوا بعلماء، الاصطلاح في الآية خاصّ بالعلماء بالله الذين امتطوا صهوة العلم سيراً إلى الله عز وجل، ويمكن للإنسان أن يكون من العلماء بهذا المعنى الذي في الآية، بآية واحدة ﴿بلغوا عني ولو آية﴾، عندك آية من كتاب الله، يمكن أن تكون من العلماء الذين يخشون الله بتلك الآية، مراراً قال الصحابة عن سور وعن آيات قليلة لو عمل الناس بهذه الآية أو بهذه السورة لكفتهم، كفتهم في العلم بالله، كما قالوا في سورة ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، آية واحدة تعمل بها عمرك، توصلك إلى الخشية، تَدَبَّرْ ولو آية من القرآن، تدبر ما استطعت من كتاب الله عز وجل، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، كل عالم إلا وهو ناقص في شيء، فكمال العلم إنما هو لله، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، أنتم، أي أنتم جميعا بني آدم، فإذن يسير العلم يُبلِّغُك مبلَغَك إن كنتَ من العاملين، إن كنتَ من المتربِّين بصغار العلم قبل كباره تفز بإذن الله عز وجل، وإلا ولو حَفِظْتَ ما حَفِظتَ فسيُقال لك ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، حتى أنت، ولو كنتَ من الحفّاظ، لكن حفاظ بغير عمل، أو بغير تَدَبُّر ما تَحفَظ فسيقال لك: ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أما العلم الراقي العالي الذي يُبلِّغُه الربَّ عز وجل فإنما هو ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، مما يُفيدُ في التّخلُّق بأخلاق القرآن الكريم، كما قيل عن رسول الله ﷺ : «كان خلقه القرآن» ويفيد في اكتساب صفات النبوة من الشمائل المحمدية.

فاللهم اجعلنا من المتقين، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه واجعلنا لك من الشاكرين، اللهم خلِّقنا بخُلُق القرآن، اللهم ارزقنا أخلاق النبوة، اللهم ارزقنا أخلاق رسول الله عليه الصلاة والسلام، اللهم اجعلنا على أثره، اللهم لا تزغ طريقنا عنه يا ربنا يا أكرم مسؤول ويا خير مأمول.

---

* منزلة العلم من حلقات منازل الإيمان التي ألقيت بالجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي.

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

تعزيات

الأستاذ محمد السويسي في ذمة الله تعالى

صبيحة يوم الاثنين 13 شعبان 1436 الموافق لـ 1 يونيو 2015 انتقل إلى رحمة الله جل وعلا الأستاذ محمد السويسي. وقد كان الفقيد رحمه الله تعالى من أهل الخير والدعوة، ولا نزكي على الله أحدا.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأحر التعازي إلى أبناء الفقيد وأقاربه وأصهاره وسائر محبيه، سائلين الله العلي القدير أن يسكن الفقيد فسيح جنانه ويكرمها بمغفرته ورضوانه ويلهم أهلها الصبر والسلوان،

وإنا لله وإنا إليه راجعون

والد أخينا رشيد صدقي في ذمة الله تعالى

عن سن يناهز 82 سنة، انتقل إلى رحمة الله جل وعلا بعد مغرب يوم الاثنين 13 شعبان 1436 الموافق لـ 1 يونيو 2015، السيد علي صدقي والد أخينا رشيد صدقي، بمسجد الإحسان بحي طارق - فاس - حيث كان ينتظر صلاة العشاء فاختاره الله تعالى إلى جواره.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم أسرة جريدة المحجة بأحر التعازي إلى الأخ رشيد صدقي وإلى كل أبناء المرحوم وأصهاره وأقاربه، سائلين الله العلي القدير أن يسكن الفقيد فسيح جنانه ويكرمه بمغفرته ورضوانه ويلهم أهله الصبر والسلوان،

وإنا لله وإنا إليه راجعون

أسباب الميراث وشروطه وموانعه

ذ. احميدة مرغيش

قال الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله:

أسبابه ثلاثة قد تحسب
وهي نكاح وولاء نسب
شروطه ثلاثة أيضا أتت
موت لموروث موانع خلت
ثالثها وجود وارث لدى
وفاة موروث ولو حملا بدا
ثم الموانع أتت مسطورة
في سبعة عندهم محصورة
عش لك رزق رمزها فالعين
لعدم استهلال ثم الشين
للشك في السابق واللام أتى
للعن والكاف لكفر يا فتى
والراء للرق وزاي للزنا
والقاف للقتل حمانا ربنا

الدرة السنية فيما ترثه البرية. الشيخ محمد باي بلعالم إمام ومدرس بأولف ادرار الجزائر

أولا: توثيق النص:

هذه الأبيات من الأرجوزة المسماة "الدرة السنية فيما ترثه البرية". للمرحوم الشيخ محمد باي بلعالم الجزائري المالكي . وله عدة كتب من بينها شرح على نظم لمختصر خليل. وتتكون هذه الأرجوزة من مائة وستة وثلاثين بيتا. تتناول أحكام المواريث الفقهية وبعضا من القسم العملي.

ثانيا: المضامين:

1 - **أسباب الإرث** (البيت الأول) وهي الزواج والولاء والنسب أي القرابة.

2 - **شروط الإرث** (البيت الثاني والثالث) وهي : موت المورث. - خلو الوارث من مانع من موانع الإرث - وجود وارث حي أثناء موت مورثه ولو كان حملا.

3 - **موانع الإرث:** (البيت الرابع والخامس والسادس والسابع) وهي سبعة مجموعة في"عش لك رزق".

ثالثا: التحليل:

للإرث أركان تحققه وتوجده، وأسباب تقتضيه وتستلزم وجوده، وشروط يتوقف عليها، وموانع تمنعه بعد تحقق أسبابه وشروطه.

فثبوت الإرث : متوقف على تحقق أركانه، وشروطه، وسببه، وانتفاء موانعه.

● **أركان الإرث:**

تعريف الركن:

الركن في اللغة: الأساس، والجانب الهام الأقوى، والجزء المكون للماهية ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾(هود: 80). ويجمع على أَركانَ.

وهو في الاصطلاح الشرعي: ما توقف غيره عليه انعداماً لا وجوداً، وكان داخلَ الماهية، كالقراءة للصلاة.

أركان الإرث ثلاثة هي:

1 - **المورث:** وهو المتوفى - حقيقة أو حكما - الذي يبحث في تقسيم ما تركه من الأموال.

2 - **الوارث:** وهو القريب المستحق لما تركه المورث.

3 - **التركة:** وهي الأموال التي تركها المورث بعد وفاته، مما يستحق التوزيع على الورثة.

فإذا انعدم ركن من هذه الأركان الثلاثة، انعدم الإرث أصلا.

● **أسباب الإرث:**

تعريف السبب: السبب في اللغة الحَبل، وكل ما يتوصل به إلى الشيء فهو سبب له، وجمعه أسباب.

وهو في اصطلاح الفقهاء ما ارتبط غيره به انعداماً ووجوداً، وكان خارج الماهية، كدخول الوقت لوجوب الصلاة.

وأسباب الإرث ثلاثة، هي:

1 - **النكاح:** والمراد به هنا العقد الصحيح، سواء أحصل بعده دخول أو لا، وعلى هذا، فلا توارث بسبب العقد الفاسد، وإن حصل بعده دخول، ولا توارث أيضاً بسبب الدخول بشبهة، ومن باب أولى أن لا توارث بسبب العقد الباطل أو الزنا، وذلك باتفاق الفقهاء.

فإذا طلق الرجل زوجته ثم مات، فإن كان الموت بعد انقضاء عدة الزوجة فلا توارث بينهما، لانقضاء النكاح بالكلية، ويستوي هنا الطلاق الرجعي، والطلاق البائن، والفسخ.

وإن كان موت أحدهما أثناء عدة المرأة، فإن كان الطلاق رجعياً وجب التوارث بالاتفاق، لأن الطلاق الرجعي لا يقطع الزوجية إلا بانقضاء العدة، وذلك لإمكان عودته إليها بدون عقد جديد.

وإن كان الطلاق بائناً، أو فسخاً لم يتوارثا، وإن كانت الزوجة في العدة بعد، لأنهما قاطعان للزوجية من حين الطلاق أو الفسخ.

هذا مذهب الجمهور، وذهب الحنفية إلى أن الزوج إذا طلق زوجته طلاقاً بائناً، ومات وهي في عدتها بعد، فإن كان فارّاً بطلاقها من الإرث، رد عليه قصده، ووجب لها الإرث، وإن كان غير ذلك، لم يجب لها شيء من الإرث، لانقضاء الزوجية، ويكون الزوج فارّاً إذا طلقها في مرض موته، بغير طلب أو رضى منها.

2 - **النسب:** وهو القرابة الحقيقية، سواء أكانت قرابة ولادة، كالأصول والفروع، أو قرابة حواش، كالإخوة والأعمام والأخوال...

3 - **الولاء:** وهو نسب حكمي ناتج عن عقد أو عتق، لقول النبي ﷺ : (الولاء لحمة كلحمة النسب).

والولاء على قسمين، ولاء عتاقة وولاء موالاة، وقد اتفق الفقهاء على الإرث بولاء العتاقة، أما ولاء الموالاة، فقد ذهب إلى سببيته للإرث الحنفية، وخالف الجمهور، وذهبوا إلى نسخه وإلغائه، وعدم جواز الاحتجاج به، في أي من الأحكام الشرعية، ومنها الإرث.

● **شروط الإرث:**

تعريف الشرط: الشَرْط في اللغة العلامة، والشَرَط بفتحتين مثله، وكذلك الشريطة، وجمع الشرط شروط، والشريطة جمعها شرائط.

والشرط في اصطلاح الفقهاء ما ارتبط غيره به انعداماً لا وجوداً، وكان خارج الماهية، كالطهارة لصحة الصلاة.

ما هي شروط الإرث؟

يشترط في الإرث شروط متعددة، بعضها يتعلق بالأركان، وبعضها خارج عنها، وهي:

1 - وفاة المورث حقيقة، أو حكماً، أو تقديراً.

أما الوفاة الحقيقية: فتكون بخروج الروح منه.

وأما الوفاة الحكمية: فتكون بحكم قضائي بموته، كالمفقود الذي مضى على فقده سنين طويلة، ثم رفعه الورثة إلى القاضي، فقضى بموته.

وأما التقدير: فكالجنين الذي أسقط بجناية على أمه توجب الغرة، وعلى هذا، فالاحتضار، والمرض الطويل الميؤوس من شفائه، والفقد الطويل دون حكم قضائي بالموت، وسقوط الجنين دون جناية على أمه، لا يثبت بها التوارث مطلقاً، لأنها ليست موتاً.

2 - **حياة الوارث عند موت المورث، حقيقة، أو تقديراً :**

فأما الحياة الحقيقية: فهي قيام الروح في البدن، ولو كان ذلك في حالة الاحتضار.

وأما الحياة التقديرية: فكالجنين الذي يولد لمدة الحمل، وعلى هذا، فلا توارث بين الغرقى، والهدمى، والحرقى، الذين جهل تاريخ وفاتهم، فإذا علم تاريخ وفاتهم، ورث المتأخرُ المتقدمَ، إذا قام به سبب الإرث، وانتفت موانعه، وكذلك المفقود، فإنه يوقف له نصيبه من مورثه الذي مات أثناء فقده، فإذا لم تظهر حياته، وحكم بموته بعد مدة، ألغيت حصته الموقوفة، وردت إلى سائر الورثة، للجهل بحياته عند موت المورث.

3 - **العلم بأحكام المواريث،** فإنه لا تركة إلا إذا علم طريق توزيعها على حكم الله تعالى، ومن هنا جاءت أهمية علم المواريث، والتشديد من الشارع على العناية به، وأنه نصف العلم.

ويضاف إلى الشروط كونه له أسباب وتنتفي موانع وتعلم جهة إرثه.

● **موانع الإرث:**

أ . تعريف المانع لغة : الحاجز .

ب . تعريف المانع شرعا : " هو ما يلزم من وجوده العدم و من عدمه الوجود لذاته.

أو "هو تلك الأوصاف التي تقتضي عدم الإرث مع قيام سببه" فالرق مثلا بوجوده ينعدم الميراث، وبانعدامه وهو صيرورة الشخص حرا يوجد الميراث.

وقد أورد المالكية سبعة موانع. نظمها محمد البشار صاحب "أسهل المسالك" في قوله :

ويمنع الإرث بوصف الرق
والقتل عمدا أو بشك السبق
أو عدم استهلال أو لعان
كذا الزنا تخالف الأديان.

الشرح

موانع الإرث هي سبعة موانع يرمز لها بعبارة (ع ش ل ك رزق) كالتالي:

ع : **عدم الاستهلال:** أي أن ولود المولود دون حركة تبين حياته كالصراخ والتنفس والحركة .

شـ : الشك : أي إن حصل شك في من تقدمت وفاته فإن الإرث لا يتحقق.

لـ : اللعان: هو يمين (قسم أو حلف) الزوج على زوجته أو الزوجة على الزوج بالزنا، فإذا حكم القاضي بينهما بذلك ويسمى باللعان فإنهما لا يتوارثان.

كـ: الكفر : أي لا توارث بين المسلم والكافر، بقوله ﷺ : لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر.

ر : الرق : أي أن العبد لا يرث من سيده.

ز : الزنا : أي لا يرث الزاني الزانية أو العكس كما لا يرث ابن الزنا من الزاني بأمه .

قـ : القتل العمد: أي لا يرث القاتل قتيله إذا كان عمدا بقصد الإرث لقوله ﷺ : «ليس للقاتل ميراث».

التعليق: لا يتحقق الإرث ولا يتوارث الزوج أو القريب إلا بتحقق أركانه ووجود سبب من الأسباب وتوافر كل الشروط وانتفاء الموانع .عند ذلك يتحقق الإرث. لكن الوارث لا يرث إلا التركة المستخلص منها كافة حقوقها الأربعة قبل حق الورثة.

مواقف وأحوال

ابن عرفة.. وأمر الخاتمة

ابن عرفة، اسمٌ كتب الله له الذيوع والانتشار، فظل يتردد لقرون على لسان كل عالم وتلميذ، وعرفه كل مؤلّف وكل كتاب، واقترن هذا الاسم بتعريف المصطحلات، وبيان حد كل علم، مما لم يأت أحد بمثله، ولا نسج عالم على منواله.

إنه -كما يعرف طلاب العلم- ابن عرفة الإمام، الشيخ الحافظ، الفقيه المفسر، المحقق المدقق.. الذي لم يرض لنفسه الدخول في الولايات، واقتصر على الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة، وانقطع للاشتغال بالعلم تدريسا وتأليفا..

قال الداودي فيه "اجتمع على اعتقاده ومحبته الخاصة والعامة، ذا دين متين، وعقل رصين، وحسن إخاء وبشاشة وجه للطلاب، صائم الدهر، لا يفتر عن ذكر الله وتلاوة القرآن إلا في أوقات الاشتغال، منقبضا عن مداخلة السلاطين، لا يرى إلا في الجامع أو في حلقة التدريس، لا يغشى سوقا ولا مجتمعا، ولا مجلس حاكم إلا أن يستدعيه السلطان في الأمور الدينية، كهفا للواردين عليه من أقطار البلاد، يبالغ في برهم والإحسان إليهم وقضاء حوائجهم.

وقد خوله الله من رئاسة الدين والدنيا ما لم يجتمع لغيره في بلده، له أوقاف جزيلة في وجوه البرّ وفكاك الأسرى، رأسا في العبادة والزهد والورع، ومناقبة عديدة وفضائله كثيرة"

هذا الرجل الذي بلغ من العلم والزهد والعبادة ما بلغ مما سبقت الإشارة إليه، لم تكن همته في ولاية يتولاها، ولا دنيا يتملكها، ولا أشباه ذلك مما تتطلع إليه النفوس الصغيرة، وتتشوف إليه القلوب الضعيفة، وإنما كان أكبر همه، ومنتهى رغبته، وأقصى رجائه أن يموت على الإسلام، فكان يقصد من لم يذنب بعد من الصبية الصغار يرجو دعاءهم له بذلك، ويتوسل إلى أولياء أمورهم في تحقيق ذلك..

قال الأبي -وهو تلميذ ابن عرفة- كان شيخنا من حسن الصورة والكمال على ما هو عليه معروف، وكان شديد الخوف من أمر الخاتمة، يطلب كثيرا الدعاء له بالموت على الإسلام، ممن يعتقد فيه خيرا، أعطاني يوما شيئا مما يتصرف به الأولاد، وقال: أعطه للولد الذي عندك، وكان ولدا سباعيا -أي ابن سبع سنين- وقل له يدعو لي بالموت على الإسلام، رجاء قبول دعاء الصغير، فلحقني منه عَبرة وشفقة"

إنها الخاتمة، وما أدراكم ما الخاتمة؟ وإن شئت فقل: إنها المقدمة الفاتحة، التي يجب أن يموت عليها كل أحد، ولكن.. لا يضمن أن يموت عليها كل أحد.. فيا للمفارقة.. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فمن ختمت حياته بخير فتلك لعمري مقدمة سعادته الدائمة، وفاتحة فرحته الممتدة، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فما أسعد من خُتِمَ له بخير، وما أتعس وأبأس وأشقى من ختم له بشر "إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات، فيكتب عمله، وأجله، ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخل النار» صدق رسول الله ﷺ.

رحمك الله أيها الإمام، وألحقنا بك مسلمين محسنين تائبين عابدين لا مبدلين ولا مغيرين ولا فاتنين ولا مفتونين، آمين.. آمين.

د. امحمد العمراوي

رئيس جمعية العلماء خريجي جامع القرويين

amraui1391@gmail.com

العربية وتجديد أمر الدين (*)

أ.د. الشاهد البوشيخي

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ربنا آتنا في لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا.

مدار هذه الكلمة على خمس نقط :

1 - **مقدمة في مفهوم التجديد ومنهاجه العام.**

2 - **العربية وتجديد فهم الدين.**

3 - **العربية وتجديد العمل بالدين.**

4 - **العربية وتجديد تبليغ الدين.**

5 - **خاتمة في أن حب العربية من حب الدين.**

مقدمة في مفهوم التجديد ومنهاجه العام :

أيها الحضور الكريم،

منذ أن أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض والدين يتنزل، حتى خُتِمَ وكَمُلَ على يد سيدنا محمد ﷺ، وهو بين آدم عليه السلام ومحمد عليه السلام كان يُجَدّد، ثم استمر بعد محمد ﷺ يُجَدّد، لكن التجديد الذي تم على يد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كان يَمَسُّ النص نفسه لأنهم رسل الله تعالى، والله جل وعلا يمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أُمُّ الكتاب.

أما بَعْدَ محمد ﷺ فإذا قال قائل ونطق ناطق بتجديد الدين، فإنما المقصود تجديد التديّن : تديّن الناس، فأما النص فقد كَمُلَ وانتهى، ولا سبيل إلى المساس به ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة : 4). لكن بعد الرسول الخاتم لا نبي، فمن يقوم بالوظيفة؟ وظيفة التجديد، ذلك بأن هذا الإنسان، وكل ما يحيط به، يَبْلى ويحتاج إلى أن يجدد، أي أن يُصَيَّر جديدا كما كان أول مرة، فذلك ما بشر به رسول الله ﷺ في حديث أبي داود المشهور «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، وفي رواية «يجدد لها أمر دينها» (رواه أبو داود). هذا التجديد أي تصْيير الدين الذي جاء به محمد ﷺ كأنه جديد كما كان أول مرة، هو تجديد تدين الناس وتطبيق الناس للدين.

ومن ثم كان المنهاج العام لهذا التجديد هو:

أولا : تجديد فهم الناس، أي تجديد فهم المسلمين لهذا الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ.

ثانيا : تجديد العمل به، أي تجديد العمل بهذا الدين على جميع المستويات في الفرد، في الأسرة، في المجتمع، في الدولة، في الأمة جمعاء بصفة عامة.

ثالثا : تجديد التبليغ نفسه؛ لأن الإسلام لمّا يعم الأرض، فلو أنه عم الأرض تلقائيا لانتهى التبليغ، ويبقى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن ظهور الدين بالمعنى الشامل لا بمعنى ظهور الحجة كما قيل أول مرة، ظهور الدين بمعنى شموله للكرة الأرضية كلها وهو شيء موعود من عموم الآيات ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ (التوبة : 33) هذا الظهور الشامل والمفصل في الأحاديث أيضا كحديث : «إن الله زوى لي الأرض- أي جعلها كالزاوية وضعت أمامه ﷺ - فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها....»(رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح) هذا الظهور قادم في المستقبل لَمَّا ندركه بعد، ولكنه قادم بتبشير رسوله ﷺ وإخباره بالغيب.

> **في القرآن خصوصيات دلالية لا توجد في الشعر العربي، ولا في النثر العربي، لأن الناطق بذلك الشعر وذلك النثر بشر، أما الناطق الآن بهذا الكلام في القرآن فهو رب البشر. وإذن لا بد من التمكن من العربية لإحداث التجديد المطلوب. لا سبيل لنا، بغير هذا، إلى تحقيق هذا المراد**

والسير التاريخي، والتطور القريب لما حدث في القرنين الأخيرين، والتطور الكبير الذي عرفته البشرية في المجال التقني كل ذلك يبشر بقرب هذا الوقت. وقد يكون -وأحسب أنه كائن إن شاء الله تعالى- قد يكون هذا القرن 15هـ هو القرن الذي لن تغرب شمسه حتى يكون الظهور الكامل لدين الله الحق ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ فتجديد التدين في الأمة تلقائيا يقتضي، تجديد فهم الدين، وتجديد العمل بالدين، وتجديد تبليغ الدين.

العربية وتجديد فهم الدين :

وإذا انتقلنا إلى النقطة الثانية التي هي العربية وتجديد فهم الدين نقول : ما هو حال الأمة اليوم في هذا الأمر؟ ما فهم الأمة اليوم للدين؟

وحين أقول الأمة لا أقصد بها ما يسمى اليوم بالوطن ولا بالدولة، ولكن أقصد كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله في الكرة الأرضية كلها، هم جميعا يمثلون الأمة، هم جميعا قطع غيار متناثرة عبر الكرة الأرضية، منها يتشكل الكيان العام على ما هوعليه الآن، وعلى ما سيكون عليه غدا إن شاء الله تعالى. هذه الأمة فهمها للدين اليوم متأثر بمؤثرَيْن كبيريْن جعلاه ليس كما ينبغي :

المؤثر الأول : التأثر بالغرب القديم وهو مؤثر تاريخي يجوز أن أسميه من باب (الحج عرفة)، وقد تأثرت الأمة قديما بمفاهيم الغرب القديم التي تسربت إلى فهمها بصفة عامة عبر قرون، تسربت بزعامة الفكر اليوناني وغير اليوناني، تسربت وظهرت بأشكال مختلفة؛ شكل المنطق، وشكل التصوف، وأشكال أخرى، كل ذلك -على ما كان عليه وعلى ما صار عليه في تاريخنا- لم يأت به محمد . ومن عاشر القرآن الكريم، وعاشر السنة المشرفة، وعاشر وصحب الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين وتابعيهم، أي عاشر وصحب خيرَ القرون، وفَقه عنهم ما قالوا وما فعلوا، فسيرى أن الإسلام الذي كان، والدين الذي كان في خير القرون، ليس هو الذي يَدْرُج الآن في الأمة. وليس الذي كان بعد ذلك فيما تعاقب من القرون بعد خير القرون. فهذا المؤثر أثر تأثيرًا بالغا تسرب حتى إلى الأصلين : أصول الفقه وأصول الدين بنسبة ليست هينة.

المؤثر الثاني هو الغرب الحديث الذي له مقذوفات حضارية، فكرية، ثقافية، اجتماعية، أشكال من القذائف نفثها في روع الأمة، ونشِّئَت عليها ناشئات وليست ناشئة واحدة، فصار الأمر في غاية الخطورة، وصار تخليص الأمة من هذه الشوائب التي تشوب فهمها للدين، ليس بالأمر اليسير. ولكنه يسير على من يسره الله عليه.

هذا حال الأمة بصفة عامة، فما الذي يلزم لتصحيح فهم الدين؟ وما علاقة العربية بذلك؟.

العربية ها هنا هي الوسيلة التي بها إلى جانب أمور أخرى يتم الحسم، لا بد من التمكن من عربية عصر التنزيل لكي نفقه الدين، هذا الدين أنزل بلسان عربي مبين. في المراحل السابقة قبل رسول الله ﷺ كان التجديد، بالمعنى الذي ذكرت، يتم بلسان الأقوام ﴿وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ لكن بعد الرسول ﷺ لا سبيل إلى التجديد إلا باللسان العربي.

نجدد ماذا؟ يُجَدَّد ماذا؟ يُجَدَّد التديُّن. وأين يوجد الدين؟ يوجد في كتاب الله عز وجل، وسنة الرسول هذا الأصل. أي يوجد في الكلام الذي هو الوحي. ولم يكن للصحابة غير هذا. وبه فعلوا ما فعلوا في التاريخ، فكان هذا الخير العظيم، وكانت هذه العمارة الضخمة المكونة من خمسة عشر طابقا في تاريخ الأمة، هذا الأصل لا سبيل إلى فقهه لتجديد تدين الناس به، أي لتجديد فهم الناس له، إلا بمعرفة عربية عصر التنزيل، أي معرفة العربية التي كانت في الوقت الذي كان يتنزل فيه القرآن، لأن العربية التي جاءت بعدُ عرفت تطورات دلالية. إذا أردنا أن نفهم القرآن بعربية القرون المتأخرة أخطأنا. لأن بعض الألفاظ تطورت دلالاتها، فإذا أسقطنا الدلالات المتأخرة على ألفاظ عصر التنزيل، فإنه يحدث إشكال عظيم ولن نفهم القرآن الذي أنزل بذلك اللسان، ولكن سنفهم قرآنا آخر نحن وضعناه لأنفسنا. هذه الأولى.

والثانية هي أن هذا القرآن وإن كان أنزل بألفاظ اللسان العربي وبتراكيبه وعلى نمطه، إلا أنه هو نفسه طور دلالة الألفاظ فيه، لنَقْلِ المسلم العربي إذ ذاك، والمسلمين بعد، مما كان مألوفا لديهم ومعهودا في دلالة الألفاظ، إلى ما يريد الله عز وجل أن يرتقوا إليه، وأن يرتفعوا إلى مستواه، فكانت الدلالة القرآنية. هذه الدلالة لها خصوصية يمكن تسميتها بعربية القرآن. هناك عربية عصر التنزيل، وهناك عربية القرآن. في القرآن خصوصيات دلالية لا توجد في الشعر العربي، ولا في النثر العربي، لأن الناطق بذلك الشعر وذلك النثر بشر، أما الناطق الآن بهذا الكلام في القرآن فهو رب البشر. وإذن لا بد من التمكن من العربية لإحداث التجديد المطلوب. لا سبيل لنا، بغير هذا، إلى تحقيق هذا المراد، لا سبيل.

العربية وتجديد العمل بالدين :

عمل الأمة اليوم بالدين كما سبقت الإشارة متأثر بواقعه، وإذا رصدناه رصدا عاما نجد أنه يكشف التخلق بدين الإسلام اليوم، بالمعنى الذي قلت عن الأمة. هذا التخلق يكشف عن جهل، إلا من رحم الله، وهم قليل. يكشف عن جهل بأنواع مختلفة من الجهل. ويكشف كذلك عن أشكال من الأهواء التي هي من الظلمات التي ينبغي أن يُخرج منها الناس إلى النور.

هذا الواقع يقتضي أن يُركز أولا في تخليق الأمة وتجديد عملها بهذا الدين، على التحقق من فهمها له -كما سبقت الإشارة- فالتحقق قبل التخلق، ثم من بعد ذلك يأتي بذل المجهود لجعلها تَلْبَس الدين، لأن الدين لباس.، الدين خلق ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾(القلم : 4) ومما فسر به هذا الكلام: إنك على دين عظيم. ثم ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾(الأعراف : 25). الدين : «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل».

فإلباس الأمة الدين يقتضي تلقائيا العربية، لتتصل الأمة مباشرة بالأصل، ولتتخذ هذا الأصل وسيلة للمحاسبة والمراقبة والمتابعة أيضا؛ فقول الله عز وجل ﴿ولكن كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾(آل عمران : 78) تعليم الكتاب ودراسة الكتاب للتحقق مما في الكتاب، ثم من بعد ذلك تأتي نتيجةُ ذلك التي هي الربانية التي تتجلى خُلُقاً في عباد الله عز وجل الذين تعلموا الكتاب ودرسوه، فبسبب ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ ينتج أن تكونوا ربانين، و«نضَّر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها -ها هنا التحقق- فأداها كما سمعها» الأداء فيه أداء اللفظ، وهذا الذي يستعمل عند علماء الحديث، وفيه الأداء العملي التخلقي، والإنسان كما يؤثر بالمقال يؤثر بالحال، بل إن التأثير بالحال أولى من التأثير بالمقال.

يمكن أن نقول إذن : إن أهم شيء يدفع المسلم دفعا إلى التخلق إنما هو حَاقّ التذوق، بمعنى أنه إذا تذوق هذا الدين كما قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا» (رواه مسلم)، هذا الذوق، إنما يحصل، أو من أسباب تحصيله، التمكن من اللغة التي بها نطق القرآن، ونطق بها سيدنا محمد ﷺ وأعرب وأبان، فمن حصل له فقه المعنى بعثه بعثا، ودفعه دفعا، لكي يتخلق بذلك.

العربية وتجديد تبليغ الدين

هذا التبليغ فيه الصورة الفردية، وفيه الصورة الجماعية وفيه الصورة التي هي الصورة الحقة الكبيرة، هي صورة الأمة. وهنا لا بأس أن أفرق بين منهاجين عامين : منهاج يستطيع به الفرد أن ينتقل، ومنهاج لا يستطيع به حتى الفرد نفسه في الحقيقة أن ينتقل إلا داخل إطار الأمة، وسيدنا محمد ﷺ اشتغل في المرحلة المكية بهذا النقل الفردي، ولكن في المرحلة المدنية تكونت الأمة رسميا. وفي أول وثيقة لرسول الله ﷺ عبر بلفظ الأمة، الوثيقة السياسية الأولى التي وضعها ﷺ في المدينة. بعد ذلك ظلت الأمة تتطور وتنمو حتى وصلت إلى مرحلة الاكتمال. وبذلك انتهت رسالة رسول الله ﷺ وجاءه ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ (سورة النصر) انتهت عملية البناء والتأسيس جملة.

ولكن هذا التأسيس لم يتم إلا في الصورة النموذجية الكبرى التي هي الأمة، فنحن اليوم لتجديد تبليغ الدين يجب أن نعمل على تأهيل الفرد، ليكون حقا مبلغا، أي ليفهم حق الفهم، ويتخلق حق التخلق، أي يتحقق ثم يتخلق، ثم يتأهل تلقائيا بسبب ذلك للشهادة على الناس. هذا شيئ مهم، ولكنه بمثابة اللبنات الأولى. أما الهدف الكبير فهوالسعي العام لإظهار الأمة.

الأمة الآن ليست في الوضع الذي يصلح للشهادة، نحن وظيفتنا الشهادة على الناس ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾(البقرة : 142) هو وحده ﷺ يكفي للشهادة، ونحن جميعا نقابله ﷺ. الأمة بمجموعها تؤدي وظيفته بمفرده ﷺ. هذا الوضع لا يكون إلا إذا كانت الأمة، هل الأمة الآن موجودة؟ لا يكاد يوجد شرط من شروط وجودها الآن، لا أقول، لا يوجد، ولكن يكاد لا يوجد، لقد مُزقنا ووُزِّعنا ووُضعت الحواجز بين أجزاء الأمة بأشكال مختلفة. وبين ما ينبغي أن نصير إليه وما نحن فيه،، مسافات ومسافات. ولكي تعود الأمة من جديد صالحة، لكي تكون، ثم لكي تتأهل فتصير صالحة بوضعها العام للشهادة على الناس كما ترك ﷺ الأمة بعد حجة الوداع، تحتاج إلى جهود وجهود.

فلذلك لا بد في هذا الاتجاه نفسه، من الدفع -بأشكال مختلفة- لكل قطعة من القطع التي تتكون منها هذه الأمة جغرافيا، إلى أن تحسِّن أحوال العربية في بلدها. لابد من هذا. هذه مسؤولية الأفراد والجمعيات، ومسؤولية الجماعات والمنظمات الدولية كالإسيسكو وغيرها، مسؤلية عامة، مسؤولية الدول، لا يجوز ولا يعقل في دولة إسلامية أن يكون لها لسان غير اللسان العربي، بحكم أنها

إنما تقفز الشعوب، وتحدث لها الطَّفْرَة الحضارية بلغتها؛ لأن الإنسان عندما ينطق بلغته، ويفكر بلغته، ويخترع بلغته، يسرع في العملية. وقد جُرِّب هذا فَصَحّ في عدة جهات هنا في المغرب وفي غير المغرب.

دولة إسلامية، لابد أن تتخذ اللسان الرسمي هو اللسان العربي. لو أردنا الآن أن نجتمع فمن شروط هذا الاجتماع اللغة الواحدة، اللغة الجامعة. ما هي اللغة الجامعة لهذه الأمة في آسيا وإفريقيا وغيرها؟ لن تكون غير لغة القرآن التي اختارها الله عز وجل، فهي التي تجمعنا. ومن ثم ينبغي أن تتقوى في كل بلد، إلى أن يجعل من لسانه اللسان العربي. وإنه من المناكر التاريخية اتخاذ ألسنة غير اللسان العربي في مناطق متعددة من العالم الإسلامي. هو من المناكر التاريخية التي تجب منها التوبة، سواء في الهند، أو ماليزيا، أو إيران أو في أي مكان، فجمع كلمة شعوب الأمة ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات : 13) هذه الشعوب الإسلامية لابد أن تجتهد في الاجتماع على اللغة العربية، وأن تسعى لاتخاذ اللسان العربي في مرحلة تمهيدية لِسَانًا لَهَا، ثم بعد ذلك يكون تأهيل الأمة لِلشهادة على الناس تلقائيا بوصلها بالأصل؛ لأن جميع أشكال الوصل التاريخي (كما أشرت في الأول) لا تجمع الناس، بمعنى إذا حاول شخص أن يرجع بالأمة إلى القرن الماضي، وأن ينطلق منه، ويتخذه الأساس، أو القرن السابع، أو القرن الخامس، كل هذه القرون ليست لها الخيرة الشرعية، ولا تصلح للاقتداء، ولا تصلح لتجديد الدين من جديد، إنما يُجَدَّدُ الدين انطلاقا من الأصل، فلابد من وصل الأمة بالأصل.

ثم لابد بعد في هذه الأمة من التواصل، بعد هذا الوصل بالأصل، على أساس هذا الأصل.

ثم بعد ذلك الاتصال المطلوب الذي ينبغي أن يكون بين شعوب الأمة لتتوحد في أي شكل من أشكال التوحد، لابد من هذا لابد.

قدر هذه الأمة أن تتوحد، سواء سمينا أنفسنا الولايات المتحدة الإسلامية، أوسميناها شكلا آخر، لابد أن نتوحد، لنكون أمة واحدة. لأن لفظ الأمة في حد ذاته يشعر، بل يستلزم وجود شيء واحد يُؤَم، ووجود إمام يُؤتم به، ووجود الجميع يَؤُم أمراً واحداً، ويقصد قصدا واحدا. أمة الإسلام ليست هي هذه القطع المتناثرة اليوم إلا من جهة كونها قطع غيار صالحة لصنع الأمة المنتظرة.

حب العربية من حب الدين :

ومن ثم أختم بأن حب العربية هو من حب الإسلام، وكره العربية هو من كره الإسلام، الذي يكره العربية يكره الإسلام والذي يحب العربية يحب الإسلام، فالتلازم بينهما تام، ولا يمكن غير هذا.

ومن ثم لابد من ثلاثة أمور ينبغي أن نجتهد فيها نحن هنا في المغرب، ويجتهد فيها المسلمون في أي نقطة من الأرض، لجعل هذه الأمور الثلاثة تُحل فيها العربية محلها المطلوب.

المجال الأول : هو مجال التعليم بجميع أنواعه؛ يجب أن يكون اللسان السائد فيه، من الأوَّلي حتى نهاية التعليم العالي، هو اللسان العربي. وكل تأخر في تحقيق هذا المقصد يؤخرنا، ويؤخر التنمية في بلادنا، وفي أي بلد آخر. إنما تقفز الشعوب، وتحدث لها الطَّفْرَة الحضارية بلغتها؛ لأن الإنسان عندما ينطق بلغته، ويفكر بلغته، ويخترع بلغته، يسرع في العملية. وقد جُرِّب هذا فَصَحّ في عدة جهات هنا في المغرب وفي غير المغرب.

فلذلك كان التعريب نفسه شرطاً للتنمية الحقيقية للأمة؛ لأن التعريب يصل الزمن ببعضه، ويهيئ صاحبه للانتقال إلى المستقبل بقوة كبيرة.

المجال الثاني هو مجال الإعلام الذي يجب أن يتكلم العربية.

والمجال الثالث هو الإدارة : التي يجب أن تتكلم العربية أيضا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله بركاته.

(×) موضوع ألقي على هامش الندوة التي نظمها المجلس العلمي بفاس حول اللغة العربية.

حب العربية هو من حب الإسلام، وكره العربية هو من كره الإسلام، الذي يكره العربية يكره الإسلام والذي يحب العربية يحب الإسلام، فالتلازم بينهما تام، ولا يمكن غير هذا.

المعلم ودوره في تحويل الأهداف التربوية إلى سلوك عملي

هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

ذ. عبد الرحمان بنويس

يعتبر المعلم في المنظومة التربوية الإسلامية الموجه والمحرك الفعلي للعملية التعليمية، والعامل على تبسيط المعرفة ونقلها إلى عقول الناشئة بما يتكيف مع قدراتهم العقلية والنفسية والاجتماعية، وإن الآثار التي تحدثت عن المعلم وفاعليته في المجتمع وفي مؤداه الرسالي كثيرة ومتعددة، منها هذا الحديث الطويل الذي رواه أبو داود في سننه عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، [وإنما] وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» (1)، ومن المقولات التي سادت في المجتمع بفعل تأثير المعلم على الواقع "كاد المعلم أن يكون رسولا" ولا يخفى علينا ما للرسول من وظيفة تبليغ الدين وأداء الأمانة وتقديم النصح، ونشر الصلح بين البشر، كل هذه الأدوار لها قاسم مشترك مع المدرس أو المعلم في فصله التعليمي، إذا قام بعمله بأمانة ورسالة، وبإمكانه تعديل المجتمع وتغيير العقول من خلال متعلميه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، لأنهم رجال الغد وحملة العلم ومشعل المستقبل، ولا يتحقق هذا العمل إلا إذا هيأنا المدرس وأكسبناه القدرة على حمل أعباء الواقع، وإصلاح ما استطاع من الفساد، ودفع الممكن من الضرر الذي يتوقع حصوله على العلم وأهله، بتوفير الوسائل اللازمة لذلك.

أدوار المعلم : ولعل من بين الأدور الرئيسة للمعلم العملية التعليمية التعلمية، وتربية النشء على الدين الإسلامي، وبعث الروح في آمالهم الذاتية، وتلقينهم الرسالة بكل أمانة ومسؤولية، لكي يجعل منهم جيلا واعيا وقادرا على تحمل المسؤولة بما يتوافق مع خصائص الشخصية الإسلامية المتزنة والمتكاملة، ومحاولة ترسيخ القيم فيهم وداخل المجتمع الإسلامي، والتي غابت [للأسف] في أوساط مجتمعنا الاسلامي، نتيجة تدفق غبار العولمة الفاسدة على أجيالنا ومنازلنا، وسيطرة وسائل الإعلام بأنواع الأوساخ على حالنا، لذا فما على الأستاذ أو المعلم إلا أن يجند نفسه للتصدي لجميع هذه العوائق التي تتجه بأبنائنا نحو الهاوية!!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المعلم وتربية الناشئة على الدين : لابد وأن ينطلق المعلم في الهذه الوظيفة الرسالية من تراثنا الإسلامي، إذ إن ديننا الحنيف أولى عناية تامة لأطفالنا ومجتمعنا على السواء، قال الرسول ﷺ: "علموا الصبي الصلاة ابن سبع [سنين] واضربوه عليها ابن عشر" (2)، وقال الضحاك بن قيس (3): "يا أيها الناس علموا أولادكم وأهاليكم القرآن" (4).

إن دور المدرس – في مثل هذه الحال – الاقتصار على تعليم الصبيان أمور دينهم وفق حاجاتهم ورغباتهم، وبما يتوافق مع ميولاتهم النفسية والعقلية، مع المفروض فيه أن يكون عالما بشروط التعلم: قال الماوردي" فَأَمَّا الشُّرُوطُ الَّتِي يَتَوَفَّرُ بِهَا عِلْمُ الطَّالِبِ وَيَنْتَهِي مَعَهَا كَمَالُ الرَّاغِبِ مَعَ مَا يُلَاحَظُ بِهِ مِنْ التَّوْفِيقِ وَيَمُدُّ بِهِ مِنْ الْمَعُونَةِ فَتِسْعَةُ شُرُوطٍ: أَحَدُهَا: الْعَقْلُ الَّذِي يُدْرِكُ بِهِ حَقَائِقَ الْأُمُورِ. وَالثَّانِي: الْفِطْنَةُ الَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا غَوَامِضَ الْعُلُومِ. وَالثَّالِثُ: الذَّكَاءُ الَّذِي يَسْتَقِرُّ بِهِ حِفْظُ مَا تَصَوَّرَهُ وَفَهْمُ مَا عَلِمَهُ. وَالرَّابِعُ: الشَّهْوَةُ الَّتِي يَدُومُ بِهَا الطَّلَبُ وَلَا يُسْرِعُ إلَيْهِ الْمَلَلُ...» (5) لذلك فالرَّسُولِ ﷺ قَالَ: عَلِّمُوا، وَلَا تُعَنِّفُوا؛ فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعَنِّفِ (6).

المعلم وتربية الشخصية الإسلامية: إن من الخصائص العامة في الشريعة الإسلامية؛ المرونة والثبات والتكامل والربانية والشمول، لكن كيف يجعل المدرس نفسه منزلا لهذه الخصائص على طبائع المتعلمين؟! لعل الأهداف التي ينبغي على المدرس تحقيقها من خلال عمله التعليمي هي: تكوين أشخاص قادرين على معرفة الصالح من الطالح، ثم معرفة أنفسهم، وما الهدف من هذه الحياة، ونشر التوعية للناس بما يتوافق مع الفطرة، بجعلهم مشاركين في بناء الحضارة الإسلامية، وقادرين على الإبداع والعطاء في سبيل المنفعة العامة، وبما يخلف خدمة للبلاد والعباد، ولا يتحقق ذلك إلا من توفرت فيه سمات الشخصية الإسلامية كما ذكرنا المستقاة من نور القرآن ومشكاة النبوة.

المعلم وترسيخ القيم : لعل الأدوار المتعددة التي يلعبها المعلم داخل المنظومة التعليمية في الفكر الإسلامي جعلته يدعو إلى تثبيت القيم في صدور المتعلمين" وقد حدد الإسلام في إطار عام مجموعة من القيم الاجتماعية والروحية والأخلاقية [التي ينبغي على المعلم أن يوجه إليها ويتحلى بها]، وكانت أنواع العبادات مظهرا مجسما لهذه القيم، ومحددا لها في سلوك دائم لا ينقطع عنه الإنسان، ولا ينفك منه إلا إذا خرج على عقيدته وتحلل من قدسية الدين، ومن خلال هذه العلاقات الدائمة بين العبد وربه تبدو المواقف الثانوية من النظر في الحياة والموت في الحب والكره، في الخلود والفناء، في الشجاعة والخوف، في النجاح والإخفاق، في العدل والظلم، في الفرح والحزن وكل هذه المعاني مستقرة في الضمير الإنساني... منذ أن تبلورت التجربة الإنسانية في العقيدة الدينية... [و]الإسلام منظما لكل هذه العلاقات مرتقيا بها إلى أقصى غايات السمو النفسي والعقلي والروحي، وعلى الرغم من أنها استقرت في ذاكرة ذاك الإنسان التي تكونت عبر التاريخ وانطبعت آثارها في عاداته المجتمعية، إلا أن الإسلام وضع لها سبل الكمال، وجعلها محببة إلى نفوس المؤمنين، كما يسرها عليهم. ففي الكلمة الطيبة صدقة، وفي إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وفي النية الخالصة أجر"(7)، وما المدرس إلا موجه تربوي لهذا الهدف النبيل لكي يطبع على عقول المتعلمين مجموعة من القيم الإسلامية التي تهدف إلى توعية المسلم بدينه وتشعره بالانضمام إلى كوكبة العقلاء الربانيين المحافظين على القيم الأصيلة، من ذلك الهوية الدينية والتشبث بقيم وتراث الأصالة والانفتاح على المعاصرة، والتحلي بتزكية النفس واحترام الغير والتواضع في التعامل.

إن المدرس الناجح هو الذي يجعل من كل متعلم مشروعا ثقيلا يكونه تكوينا لائقا به، من خلال تنوع الطرق التي يدرس بها، وتعدد الأنشطة المندمجة التي تساعده على فهم الواقع، والتأقلم معه في أحسن ظرف، وتقويم تلامذته

المعلم ودوره في تحويل العلم إلى سلوك واقعي: إن المدرس الفعال هو من يجعل من المتعلم مفكراً ومبدعاً في العلوم التي تلقاها، وبها يتفاعل مع مجتمعه ويطوره، كما يحاول [المدرس] أن يغرس في النشء المسلم حب المساهمة الفعلية في حل مشكلات مجتمعه بطرق فعّالة مُبتكرة، ويؤهله أن يصبح شخصية ذات أنماط متعددة ومتوازنة، منها القدرة على القيام بالمسؤولية، واحترم الآخر في إطار التبادل الأخوي للآراء والأفكار، بعد تنمية قدراته، وتحصيل معلوماته، وصقل مهاراته الأساسية التي تؤهله إلى القيام بهذه المهمات العملية في الواقع.

وختاما؛ إن المدرس الناجح هو الذي يجعل من كل متعلم مشروعا ثقيلا يكونه تكوينا لائقا به، من خلال تنوع الطرق التي يدرس بها، وتعدد الأنشطة المندمجة التي تساعده على فهم الواقع، والتأقلم معه في أحسن ظرف، وتقويم تلامذته أو زملائه باعتبارهم مرآة تعكس الصورة كما هي عليه في الواقع.

---

1 – سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن السجستاني، باب الحث على طلب العلم، رقم الحديث 3643 دار الكتاب العربي . بيروت ص3/354.

2 – الجامع الصحيح ،سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت (2/259). قال الشيخ الألباني: حسن صحيح

3 – وقيل: صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وأمه من باهلة، كان قد أدرك النبي [ولم يره، ودعا له النبي [... أسلم على عهد رسول الله [. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) أبو عمر بن عبد البر القرطبي (المتوفى: 463هـ) تحقق: علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت ط. الأولى، 1412 هـ – 1992 م (145–1/144).

4 – سنن سعيد بن منصور لأبي عثمان سعيد بن منصور الجوزجاني (ت227هـ)، تحقق د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد – دار العصيمي– الطبعة: الأولى الرياض 1414 – (1/59).

5 – أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: 450هـ) دار مكتبة الحياة بدون طبعة 1986م ص66.

6 – مسند أبي داود الطيالسي المتوفى سنة 204 هـ، تحقيق : الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر للطباعة والنشر الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1999 م قال البيهقي: تفرد به حميد هذا و هو منكر الحديث (4/269).

7 – طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها د.عبد الرشيد عبد العزيز سالم، نشر وكالة المطبوعات الطبعة: الثالثة 1402هـ1982–م ص 53.

من أوراق شاهدة

الزين اللي فينا رغم غفلة الغافلين

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

يضبطون إيقاع شهاداتهم التي يريدونها علمية كلما جمعتهم لقاءات وطنية أو دولية بحقوقيين غربيين فتأتي على لسانهم بثقة واضحة في النفس كلمة «حسب تقارير دولية». ويدرك المرء إلى أي حد استحوذ الاستلاب على بعض قلوب مثقفينا حد اعتبار المؤسسات الغربية المهتمة بشهيقنا وزفيرنا، فضاءات للقداسة المطلقة. وكم أشعر بالأسى لنجاعة السحر الأشقر الذي تغلغل في مسام هؤلاء المثقفين حد استعراض راهنية معلوماتهم بكل ثقة في أمانة المصدر.

أسى عميق لكون الطفرة المعلوماتية المذهلة عرت كل المستور وكل خداع التحركات الدولية للمؤسسات الرسمية والرديفة المصطلح على تسميتها بالمجتمع المدني، كما تمخضت متابعات وسائط الاتصال عن تقارير فاضحة لسلوكيات زعماء وأقطاب هذه المؤسسات الوالغين في الاحتيال والتلاعب بالقضايا الإنسانية وقضايا الشعوب.. وأسفرت تقارير سرية عن مواخير للصفوة إياها للمتاجرة بالنساء وضمنهن القاصرات اللواتي تؤثث بهن حفلات خاصة ومهرجانات ومسابقات دولية، واستعراضات لعروض أزياء وملكات جمال ناهيك عن الخراب المعمم الذي أحال العالم العربي إلى فسيفساء من دم وتراب بسبب سياسات استعمارية للجيل الجديد من لصوص الشعوب، وضع تردت فيه المرأة إلى الدونية المظلمة للعصور الوسطى.. نساء شريدات بين المنافي بسبب الحروب، ونساء مخلدات في العبودية المطلقة بفعل هذه الأنشطة الدولية المشبوهة والتي ذكرنا من بينها عروض موضة وعروض مسابقات رقص وغناء وحركات للتهريب السري لآلاف النساء بين الغرب والشرق بحجة العمل في الخدمات التي ليست إلا دعارة عابرة للقارات في خليط مأساوي تشحن فيه الصغيرات العذراوات الحسناوات إلى السلخانة ليستنزفن حتى آخر قطرة عرق. وحين تعرض هذه الوضعية المخزية للمرأة على أنظار هذه الشبكات الحقوقية فإنها تغضب وتحرر غضبها مجموعة احتجاجات وكفى، لكنها تصبح عدوانية وبأنياب حادة حين يتعلق الأمر بقضايا نسائية ذات جغرافية إسلامية، والأدهى حين يرافق هذه القضايا حراك وتطارح لأفكار ذات توجه ديني آنذاك تصبح تلك القضايا أعجل من الملف النووي الإيراني وتصطنع لها سيناريوهات دولية تتجاذب الإنارة فيها وكالات أخبار غربية عالمية تقلب فيها النظر لتخلص إلى أن جوهر المشكل هو المد الظلامي والتهديدات الموجهة لمشروع الحداثة والقيم الإنسانية الكونية والاستناد إلى نصوص نكوصية هي نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلخ!!

وفي السياق فقد قالت سيدة مغربية من رموز الحركة النسائية في معرض حديثها مؤخرا أمام وفود حقوقية غربية عن واقع المرأة المغربية أن هناك مقولات تساهم في تردي هذا الوضع وذكرت ضمن هذه «المقولات» (النساء ناقصات عقل ودين) والحال أنها مجتزأة من حديث نبوي شريف. وهذا الكلام دليل على أن هذا السحر الأشقر العملاق لا راد لمفعوله الذي يجعل بعض أبنائنا يصدق فيهم قوله تعالى في سورة الزمر ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾، سحر يجعل البعض يتنافسون بحجة استعراض واقعنا في المنتديات الدولية وتطلعهم إلى تغيير هذا الواقع، في إدخال الغرباء إلى غرف نومنا وتعرية نسائنا قطعة قطعة على أنغام الموسيقى الخليعة ورفقة الكلمات الإباحية ليدفعوا أولئك الغرباء للتعاطف مع نسائنا وجر كل رجالنا إلى حبل المشنقة، خصوصا منهم أصحاب اللحى..

والطامة أن هذا السحر الأشقر يعمي أعين بني جلدتنا تماما عن جيوش جرارة من الأمهات العازبات والمعنفات في الغرب انقلبن إلى شاذات أو نساء وحيدات لغياب الرجال حتى ليصح فيهم المثل المغربي العميق العريق (كون الخوخ يداوي كون داوى راسو).

وختاما فإن الزين اللي فينا حقا هو ما يقض مضجعهم؛ زين الأوتاد المتأبية على الاقتلاع أوتاد الحصن الروحي التي تعيدنا إلى قواعد الرشد سالمين، لذلك سيطول سعارهم وسيتخذ ألوانا شتى.. وقد أضحكني ضحكا هو البكاء بتعبير آخر حين قرأت خبر اعتبار وزارة الأوقاف المصرية لهيأة علمية يسيرها علماء مسلمون معتبرون بأنها كيان إرهابي، وليس هذا القرار إلا من إفرازات هذا الحراك الموجه عن بعد ضد النبض الإسلامي الصحيح.

وإذا استمر هذا الإيقاع فإن هذا الجمال الحق المتمثل في دين الإسلام ، لن يستطيع الصمود طويلا إذا تواصل تمدد البشاعة إلى ما لا نهاية في غياب أو ضمور صوت الحق. وبالمناسبة فمخرج فيلم «الزين اللي فيك» الذي أساء إلى أسماعنا وأبصارنا من جهة فإنه من جهة أخرى، أحسن إلينا في ديننا من حيث لا ندري وإن لم يقصد المخرج إياه ذلك، لأنه جعلنا أمام مرآة واقع مريض منفلت من مبضع الدعاة، واقع البيع والشراء في الأعراض وواقع الشذوذ الذي يصيب بالسكتة بمجرد النقر على كلمته في وسائط الاتصال حيث يستعلن شباب مسلمون بشذوذهم وهم يمارسون الرذيلة الشاذة أمام الكاميرا.

ومن النباهة أن نسائل أنفسنا إلى أي حد تقلص صوت التبليغ حتى غدت عروض الجنس أطغى على فضاء الكاميرا؟؟.. وقد عبر العالم الكبير محمد الغزالي عن هذا الواقع من خلال قولة ثاقبة تدعونا إلى الصبر بكل تأكيد وللعمل الصالح والثبات في مواقعه وهذا هو الأهم.

يقول الشيخ الجليل: «هناك ساعة حرجة يبلغ فيها الباطل ذروة قوته ويبلغ الحق ذروة محنته، والثبات في هذه الساعة الشديدة هو نقطة التحول».

إصدارات

كتاب (المرأة المسلمة)

ذ. صالح العَوْد (فرنسا)

في عَصْرِنَا هَذَا، تَجَاسَرَ الكِبارُ والصِّغَار، وفَئَاتٌ شَتَّى مِنَ الفُسَّاق والفُجَّار، وحَتَّى بَعْضُ العُقَلاء مِنَ الكُفَّار، على نَيْزِ الإِسْلام بِأَلْقَاب هُوَ مِنْها بَرِيءٌ؛ والتَّهافُت عَلَى التَّهَكُّم بِشَعَائِره، وفَرَائِضه، وشَرَائِعه؛ فَضْلًا عَنْ التَّهَجُّم عَلَى نَبِيِّه الأَكْرَم: سَيِّدِنَا مُحَمَّد ﷺ؛ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هُوَ ذَلِكَ التَّهَجُّم المُبَطَّن، ذو الأَبْعَاد الخَبِيثَة.

وهَذَا التَّوَاطُؤُ: غَرِيبُ الأَطْوَار، مُبَطَّنُ المَقَاصد، مُتَنَوِّعُ النَّتَائِج؛ أَمَّا الغَايَةُ مِنْهُ فَتَكَادُ تَكُونُ وَاحِدَة، وهِيَ: تَشْرِيدُ النَّاسِ عَنْ مَعْرِفَته، وزَرْعُ الكَرَاهِيَّة لَه، وتَضْلِيلُ الرَّاشِدِينَ كَيْ لا يَصِلُوا إِلَيْه، وصَدُّ عَنِ الدُّخُول فِيه، وإِضْعَافُ المُسْلِمِين في صَمِيم مُقَوِّمَاتِهِم:

الإِيمَانِيَّة... والتَّعَبُّدِيَّة... والأَخْلاقِيَّة...

وقَدْ صَدَرَ عَنْ دَار ابْنِ حَزْم للنَّشْر بِبَيْرُوتَ كِتَاب: (المَرْأَةُ المُسْلِمَةُ والحَمَلاتُ الغَرْبِيَّةُ ضِدَّهَا/ للدُّكْتُورَة خَدِيجَة الكُشْك).

وهَذَا الكِتَابُ هُوَ «كَشْفٌ» لِلْحَقَائِق، و«رُدُودٌ» عَلَى أَبَاطِيل، و«تَمْحِيصٌ» لأَفْكَار وأَقْوَال القَوْم.

وهُوَ يُعَرِّفُكَ بِأَبْعَاد «حَمَلَات الكَرَاهِيَة» ضِدَّ الإِسْلام والمُسْلِمين، وخُصُوصًا «المَرْأَة المُسْلِمَة: مُرَبِّيَةُ الرِّجَال والأَجْيَال»؛ وقَدْ وَضَعُوا لَهَا كُلَّ الخُطَط والسُّبُل والوَسَائِل، لإِفْسَادِهَا، وإِبْعَادِهَا عَنْ

(عَقِيدَتِهَا... وعِبَادَتِهَا... ورِسَالَتِهَا...).

فالكِتَابُ جَدِيرٌ حَقًّا بِالقِرَاءَة الجَادَّة، والتَّأَمُّلات الكَثِيرَة، لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ أَوْ يَتَذَكَّرَ حَالَ المَرْأَة المُسْلِمَة.

رمضة

مشروع..

خطبها لثراء أبيها... قبلت لثرائه...

- اعذريني إن لم أقدم لك هدايا تليق بمقامك ..أمهليني ريثما أنهي مشروعا ضخما...!

رجاها متوددا.. ردت عليه:

- وأنا أيضا أمهلني ريثما يفتح لي (بابا) شركة، وينتهي من تشييد بيت جديد أفخم...!

طالت المهلة.. ضاقا ذرعا ببعضهما.. هي مشروعه الضخم.. وهو مشروع حياتها..

هي تريد أفخم حفل زفاف، وأفخم سكن، وتحقيق خطتها التي رسمتها بدقة.. وهو يريد أن يغنم بحلم حياته...!

وجدا نفسيهما أمام مرآة الحقيقة بلا أقنعة...

اكتشف أن أسرتها أفلست، ولم تعد تملك غير ذلك الاسم الرنّان..

واكتشفت أنه قد خسر ثروته في القمار والمجون، ولم يعد يرث عن أبيه غير ذلك اللقب وذكرى ثراء مرَّ كالسحاب...

تركها بحثا عن فرصة أخرى قد تأتي مع امرأة ثرية...!

وتركته بحثا عن رجل يعيد لها بعضا من أمجاد ثراء أبيها...!

بقلم :

ذة. نبيلة عزوزي

فاس : باحثون وعلماء يتدارسون موضوع "التغذية بين الطب والفقه والواقع المعاصر"

برحاب كلية الشريعة وكلية الطب وخلال يومي الجمعة والسبت 29 و 30 ماي 2015، نظمت كل من جامعة القرويين وجامعة سيدي محمد بن عبد الله الأيام العلمية المشتركة الأولى في موضوع: "التغذية بين الطب والفقه والواقع المعاصر"

وقد تناولت الندوة ثلاثة محاور كبرى :

المحور الأول : التغذية من المنظور الطبي.

المحور الثاني : التغذية من المنظور الشرعي.

المحور الثالث : في التراث الحضاري الإسلامي.

وقد ضم كل محور عروضا علمية عالجت جانبا من الجوانب العلمية والطبية والشرعية في بعدها الفقهي والأصولي والمقاصدي وكذا الجوانب القانونية والاقتصادية والتراثية.

وقد تناولت الكلمات الافتتاحية أهمية الموضوع وقيمته العلمية والواقعية والحاجة العاجلة والشاملة لمدارسة إشكالاته خاصة أن المغرب مقبل على إنشاء مدونة الاستهلاك. ويمكن تلخيص الكلمات الافتتاحية على الشكل الآتي :

■■ **الدكتور محمد الروكي (رئيس جامعة القرويين)** : بين في كلمته الافتتاحية أهمية هذا الموضوع العلمية والشرعية وراهنيته، فمن حيث الجانب الشرعي بين أن التغذية تدخل في الاهتمامات الكبرى للشريعة الإسلامية أحكاما وقواعد ومقاصد لأن الغذاء باب من أبواب حفظ الصحة التي هي باب من أبواب حفظ النفس الذي يأتي في المرتبة الثانية من مراتب الكليات الخمس الضرورية التي هي قوام الشريعة وأساسها لذلك فقد فصلت الشريعة الإسلامية القول في الغذاء فميزت بين الأغذية المشروعة والممنوعة، جلبا للمصالح ودرءا للمفاسد وحفظا لحياتهم، كما أبرز أن القرآن الكريم والسنة النبوية يتضمنان التوجيهات السديدة والمنهج الغذائي الأمثل النافع والباني، كما شدد على أهمية تناول هذا الموضوع من زوايا مختلفة يلتقي فيها تصور الأطباء وحكم الفقهاء وإمداد العلماء.

■■ **الدكتور عمر الصبحي (رئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس)** :

أكد أن موضوع التغذية بين الفقه والطب

والواقع المعاصر موضوع هام لأن التغذية أصبحت اليوم تطرح إشكالات متنوعة صحية وفقهية وتراثية واجتماعية وقانونية واقتصادية وغير ذلك مما يفرض معالجة متعددة التخصصات وهي التي تبنتها هذه الندوة وحاولت السير عليها، كما تأتي أهمية الموضوع في سياق عالمي أصبح فيه العالم عرضة لكثير من الانحرافات الغذائية قد تكون عواقبها وخيمة على صحة الإنسان في ظل استمرار سوء التغذية بالنقصان أو الزيادة أو بتركيب مواد ومكملات اصطناعية من أجل تحسين الذوق أو المطبخ أو الاحتفاظ بالتغذية وحمايتها من الفساد. إضافة إلى هذا أصبحت الأرض عرضة لاستعمال كثير من المبيدات المضرة، فضلا عن البيوتكنولوجيا التي أصبحت تتحكم في كثير من أنواع الأغذية بحسب حاجيات السوق. وهكذا خلص إلى توكيد أن مثل هذه الإشكاليات المتنوعة تتطلب بالفعل معالجة من زوايا متعددة التخصصات وتكون عميقة وشاملة.

■■ **الدكتور حسن الزاهر (عميد كلية الشريعة بفاس)** :

انطلق في بيانه لأهمية هذا الموضوع من كونه يتصدى لإشكالية من الإشكاليات الكبرى التي يعيشها عالمنا المعاصر وهي أزمة النظام الغذائي المعاصر الذي يشهد تعقيدا متزايدا وصعوبات قانونية وصناعية وطبية واقتصادية تتطلب تدخل أطراف عديدة لبلورة رؤية سليمة في هذا الجانب من أجل التوصل إلى الحلول التي يتطلبها الموقف من أجل خدمة الوعي وتأصيل ثقافة الاستهلاك والوعي الاستهلاكي، كما أكد أن النظام الغذائي الإسلامي أثبت نجاعته وأصبح كثير

من المنظمات العالمية مستعدة لتبنيه والدليل على ذلك ما أثبته هذا النظام من القدرة التنافسية عندما فتحت التجارة في الأطعمة الحلال في كثير من البلدان الغربية حيث أصبح الإقبال منقطع النظير على هذا المنتج الغذائي الإسلامي وبالتالي يمكن للنظام الغذائي الإسلامي أن يقدم كنموذج يحتذى به في الدول الغربية.

■■ **الدكتور محمد يسف (الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى)** : انطلق من القول من أن موضوع الغذاء والتغذية موضوع حيوي ومركزي في اهتمامات الإنسان منذ القديم، وأبرز أن الإسلام عني عناية خاصة بالنظام الغذائي، ويحتل الصدارة الكبرى، كما نوه بالتعاون المشترك بين الجامعتين في معالجة القضايا المتعددة الأبعاد التي تحتاج فعلا إلى تكامل الرؤية العلمية والإيمانية. ونوه من جهة أخرى بهذا التعاون بين الجامعتين وبهذا الانفتاح على مثل هذه القضايا العلمية الشائكة.

■■ **العلامة عبد الحي عمور (رئيس المجلس العلمي المحلي لفاس)** : حيث بين أن موضوع التغذية موضوع يتقاطع فيه ماهو اجتماعي واقتصادي وعلمي وطبي وشرعي، معتبرا أن العادة جرت في معالجة كثير من القضايا بالاقتصار على الأبعاد الأخرى دون البعد الشرعي، ونوه في هذا السياق بالتعاون

المشترك بين جامعة القرويين وجامعة سيدي محمد بن عبد الله، لأن هذا الموضوع لابد فيه من تلازم المعالجتين العلمية والشرعية، باعتبار أن القيم الأخلاقية تتصل بكل أنشطة الإنسان الاقتصادية والعلمية والاجتماعية، كما بين أن وظيفة الإنسان هي إعمار الأرض وأن هذا الإعمار لا يمكن الاستغناء فيه عن العمل والإنتاج والعلم، والإنتاج والعلم لابد لهما من الاهتداء بالقيم الخلقية والشرعية. ولهذا يجب استغلال نتائج العلم ومكتشفاته في تحقيق مصالح الإنسان والاكتفاء الذاتي في المجال الغذائي، كما بين من جانب آخر توازن الرؤية الإسلامية للإنسان عقلا وروحا وجسما وبالتالي فإن المسألة الغذائية تحتل مكانة كبيرة في الإسلام لا يمكن تحقيق التنمية المنشودة دون استحضار هذه الأبعاد متكاملة.

■ ■ **الدكتور عادل الإبراهيمي (عميد كلية الطب والصيدلة ورئيس اللجنة التنظيمية للندوة)** : قدم كلمة بين فيها أهمية

موضوع الندوة لكون التغذية موضوعا يحتاج إلى تظافر جهود علماء الشرع والفقه والقانون والطب ومختلف المتخصصين، بقصد استنباط ما وقع عليه الإجماع بخصوص السلبيات أو الإيجابيات لتعميم الفائدة وخدمة المجتمع انطلاقا من رؤى متعددة لا شك أنها ستسهم في بلورة تصور مفيد.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الملتقى تزامن مع تدشين مسجد كلية الشريعة الذي أسهم في بنائه أحد المحسنين، وبني على الطراز المعماري لجامع القرويين وقد أشرف على تتبع بنائه **الدكتور مصطفى بنحمزة رئيس المجلس العلمي** بوجدة وفاء منه للكلية التي درس

بها، وبالمناسبة قدم فضيلته درسا افتتاحيا بالمسجد بيَّن فيه دور المسجد في التربية على قيم الوسطية والاعتدال والتوازن في عالم أصبح مضطربا بالصراعات الايديولوجية.

● **إعداد : د. الطيب الوزاني**

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل :.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغـــرب : 60 درهم

■ خارج المغـــرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس – المغرب

الهوية العربية والأمن اللغوي : إشكالات وقضايا ومقترحات

د. الطيب بن المختار الوزاني

صدر للدكتور عبد السلام المسدي كتاب جديد بعنوان: «الهوية العربية والأمن اللغوي: دراسة وتوثيق» من إصدار المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات قطر، في طبعته الأولى يوليو 2014، في 443 صفحة، وهو ثاني أهم الكتب التي يصدرها الدكتور في المسألة اللغوية العربية بعد كتابه «العرب والانتحار اللغوي» الذي قدمنا قراءة فيه في المحجة عددي 406 و407 بتاريخ أكتوبر ونونبر 2013، وما هي أهم الإشكالات التي نبه إليها في الكتاب؟ وما علاقة الهوية العربية بالأمن اللغوي؟

أولا - صرخات الكاتب هل لها من صدى:

يعتبر هذا الكتاب في نهاية المطاف صرخة أخرى لكنها موثقة توثيقا جديدا وما فتئ الكاتب يردد كل مرة ما يدل على عظم المسؤولية وخطورة الموقف، ولنستمع إليه وهو يقول : «لن يندم العرب على شيء كما قد يندمون يوما على أنهم لم يلبوا نداء لغتهم وهي تستجير بهم منذ عقود أن أدركوني، هتفت بهم همسا منذ أيام الاستعمار، ثم صَاحت عند انقشاع غمته، وها هي لا تبرح تشكو وتستغيث» (ص. 12)، ولعل السبب في ذلك أن وجود أي أمة واستمرارها رهين بلغتها ومدى اعتزازها وتعزيزها للغتها، يقول المؤلف: «**إنه لا غنى للعربية عن أبنائها، ولا غنى للعرب عن لغتهم، قد يصدق الأمر على كل الألسنة، ولكنه على لغة الضاد وأهلها أصدق منه على سائر اللغات في كل الثقافات، ففي العربية مآل أهلها، وعلى مآل العرب مآل لغتهم، ذلك هو الذي عندنا وليس عند غيرنا**» (ص. 14-15).

وهذا الارتباط العضوي بين العرب والمسلمين وبين اللغة العربية هو ما جعل الدكتور المسدي يربط أيضا بين الخسران الحضاري وبين خسران اللغة، يقول في هذا الصدد : «**لن يفلح العرب في كسب رهان التاريخ لا بواسطة اللغة الأجنبية ولا بواسطة لهجاتهم العامية، ولو أرادوا أن يفعلوا ذلك بالأولى لظلوا تابعين طول الدهر، ولعجزوا أن يصيروا يوما متبوعين، ولو شاءوا أن يفعلوا ذلك بالثانية لتراكم عليهم التخلف عقودا**»

ثانيا- من قضايا الكتاب :

1 – اللغة والثقافة والمجتمع والمعرفة:

هذه من أهم الثنائيات (اللغة والثقافة، اللغة والمجتمع، اللغة والمعرفة) التي يسعى المؤلف إلى إبراز علاقة التواشج بينها من خلال المعطيات العلمية والتاريخية والواقعية يقول مشددا على العلاقة بين اللغة والثقافة «اللغة العربية هي أبرز مظاهر الثقافة العربية، وأكثرها تعبيرا، وأثرا بوصفها وعاء الوجدان القومي، فلا ثقافة قومية بدون لغة قومية، فالمناطق الثقافية كبراها وصغراها إنما يربطها بعضها إلى بعض الوحدة اللغة اللغوية بالدرجة الأولى» (ص. 71)، وفي الترابط بين اللغة والمجتمع نجده يقرر أن «بين اللغة والمجتمع علاقة متبادلة صميمة؛ فلا لغة تتحرك بدون مجتمع يتحرك، ولا مجتمع يتحرك بدون لغة حركية تماثله وتواكبه، واللغة العربية لهذه الأسباب جميعا تتصل بعدة ميادين ثقافية هي من أكثر الميادين خطرا وشأنا: ففيها الخصوصية القومية والوحدة السياسية والتراث، والاستمرارية الثقافية وحيوية الفكر العلمي، والإبداع الأدبي» (ص.71)، وليس هذا فحسب وإنما العلاقة عضوية بين كل من الثقافة والمجتمع والمعرفة جميعا ولا يمكن فصل الواحد عن الآخر دون إحداث اختلال في منظومة الهوية وفي كل عنصر من عناصر هذا التركيب، يقول مؤكدا هذه الحقائق: «ليس من شك أن الثقافة تستدعي علما بها، وأن المعرفة تقتضي الدراية بمنظومتها وإحكاما للغتها: كيف تتأسس، وكيف تنمو، وكيف يعبر عنها، واذا انعطفت هذه على تلك كان علم الثقافة، وكان علم المعرفة، وكان علم اللغة، فإذا باستراتيجية الثقافة هي في جزئها الأكبر استراتيجية للمعرفة وللغة التي بها المعرفة» (ص. 68)، ونظرا لهذا الترابط بين مفاهيم اللغة والثقافة والمجتمع فإن المؤلف ما فتئ يبرز أن الحروب في العالم هي في جوهرها حروب لغوية وإن تغلفت بأغلفة ثقافية أو اقتصادية أو علمية يقول في صيغة قاعدة :» كل الحروب أصبحت إذا ترتد إلى الحروب الثقافية، وكل الثقافة ترتد هي الأخرى إلى الوعي اللغوي طردا وعكسا» (ص. 394 . 395).

2 – اللغة والهوية والأمن القومي :

من القضايا الكبرى التي ركز عليها الدكتور المسدي هو إشكالية العلاقة بين اللغة والهوية والأمن القومي؟ رغم التمايز بينهما في بعض الخصوصيات إلا أن الدكتور يربط بين هذه المفاهيم ربطا عضويا انطلاقا من شواهد الواقع والتاريخ واللسانيات الاجتماعية والأنتروبولوجيا وهنا تجده يذكر بحقيقة تاريخية قائلا: «إن حماية اللغة في تاريخنا لم يكن يقل شأنا عن حماية الأرض . تلك التي كان الأجداد يسمونها البيضة. وعن حماية الذات الجماعية حتى أوشكت اللغة أن تتماهى والهوية. فما كان للعروبة ولا للقومية ولا حتى للإسلام مفهوم خارج اللغة، إن تاريخ العرب في مصاعده ومنازله يكتب من خلال تاريخ لغتهم في مدها وجزرها. (ص. 25).

كما يذكر بأن العلاقة بين اللغة والأمن القومي قائلا : «لقد أصبحت اللغة العربية اليوم قضية أمن قومي بلا مبالغة (ص. 181) وبعد تحليل مستفيض لهذه العلاقة ينتهي إلى التساؤل قائلا: « فهل من مرتاب يشكك –بعد الذي عرفنا– في أن قضية اللغة العربية هي قضية أمن قومي بكل مضامينه وارتدادته؟ (ص. 395) ذلك أن الأمن القومي ليس فقط أمنا عسكريا وسياسيا بل هو بالدرجة أمن ثقافي وحضاري وهوياتي، وليس هناك مدخل سريع وفعال للقضاء على الهوية إلا عبر القضاء على اللغة، ف «طمس معالم الهوية وتفتيت أركانها كي يتم تفكيكها من الداخل، كان هو الموطئ الذي تتقاطع في مركزه السياسة والثقافة واللغة» (ص.43)، ومن هنا يتعجب المؤلف من غياب الوعي العربي بهذه القضايا، ويتعجب خصوصا من غيابه لدى صناع القرار العربي من قبيل مؤسسة العمل العربي المشترك «لقد كان عجيبا أن مؤسسة العمل العربي المشترك الكبرى لم يخطر لها أن تجعل المسألة اللغوية ضمن أولوياتها المصيرية منذ البدايات» (ص.48)، وهذا الإهمال أو التغافل من جميع الجهات المسؤولة على القرار السياسي والفعل الثقافي واللغوي دفع الدكتور المسدي إلى ختم كتابه بصرخة مدوية يدعو فيها إلى الربط بين حماية اللغة وحماية الهوية فيقول: «**ألا إن صيانة لغة الضاد من خطر الامحاء هي صيانة للهوية العربية وصيانة للأمن القومي**» (ص. 403)

3 – اللغة والسياسة:

يكاد القارئ للكتاب يخرج بقناعة مركزية أن الكاتب رغم توكيده على العلاقات الثنائية السابقة إلا أن تركيزه على العلاقة بين اللغة والسياسة كان أشد وأبرز لاعتبارات عدة منها أن الفاعل السياسي هو الذي بيده القرار اللغوي والحضاري وهو العامل الحاسم في وجود اللغة واستمرارها وقوتها وضعفها، حياتها أو موتها... ويبدو هذا واضحا حينما يقول المؤلف: «فمن ظن أن اللغة شيء والسياسة شيء آخر فقد وضع نفسه خارج منطق التاريخ، ومن توهم أن الخيارات السياسية تستقيم في معزل عن الخيار اللغوي فقد ظلم السياسة وظلم اللغة وظلم نفسه. إن المسألة اللغوية قائمة في جوهر التصور السياسي... اللغة ملازمة للسياسة، إنها العنصر المحايث لها بالفعل أو بالقوة، غير أن المنسي في القضية أو المغفول عنه هو أن السياسة ملازمة للغة، بمعنى أن الوجود اللغوي –بطرفيه المتناهيين اللذين هما البقاء والاندثار– مرهون بالفعل السياسي كإدارة وكقرار وكإنجاز» (ص. 199)، ومن هنا فإن اللغة في صميم السياسة... ولكن الذي يخفى على الإنسان هو أن الحروب اللغوية بين المجموعات البشرية ليست أقل ضراوة من الحروب العسكرية المكشوفة (ص. 391) بل إن اللغة كانت دوما حاضرة بثقلها في الصراعات والحروب إذ هي «محور جوهري في الصراعات السياسية الكبرى عبر كل الحقب التاريخية... فالصراع اللغوي واقع في قلب الحدث من العلاقات الدولية، فهو صراع مباشر بين القمم... وهو أحيانا صراع غير مباشر وذلك عن طريق النزاعات الإقليمية تماما كما يقع

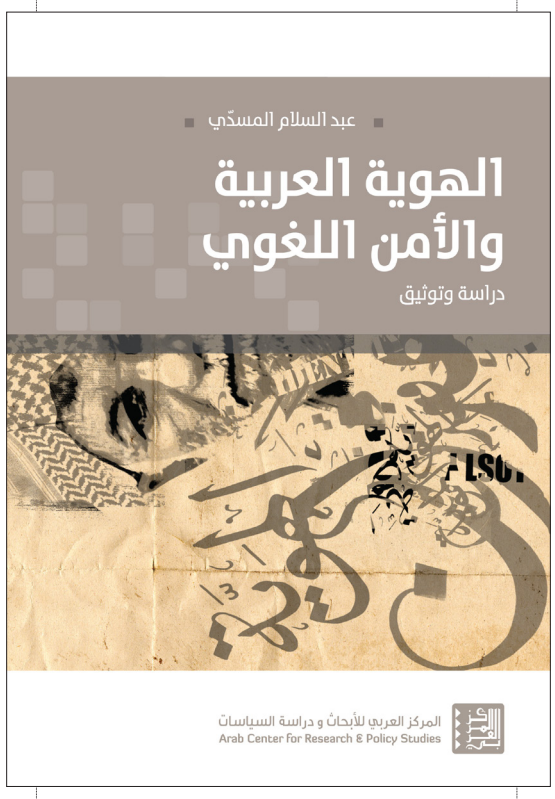

في الصراع السياسي. ولقد بات بديهيا أن الساحة الدولية ملأى بهذه النزاعات اللغوية التي تترجم عن صراع سياسي، أو ملأى بنزاعات سياسية تتوسل بصراعات ثقافية لغوية (ص.395).

وعلى هذا الأساس من الحقائق التاريخية والواقعية في ترابط السياسي باللغوي يتأسف الدكتور المسدي عن غياب الوعي اللغوي لدى الفاعل السياسي: «نوشك ألا نشك في أن صناع القرار في أوطاننا قد أورثتهم الأيام في أمر اللغة التباسا مكينا، وظل هذا الالتباس يحدثهم ويحدث كثيرا من رجالات النخب الاجتماعية والثقافية وحتى العلمية بأن المسالة اللغوية هي –بدءا وختما– قضية تعليمية تربوية، فإن بدا لهم أن يوسعوا الدائرة أقروا بأنها أيضا ذات بعد ثقافي، وربما أقدم بعضهم على مزيد من الاستبصار فأضاف قائلا: «ذات بعد ثقافي حضاري» (ص. 64)، كما أن اللغوي والمثقف يغيب لديه الوعي السياسي وأهمية أثر العامل السياسي في المسألة اللغوية.

4 – حياة اللغات وموتها:

بات من المقرر في علم اللغة الاجتماعي والأنتروبولوجيا اللغوية والثقافية أن اللغة مثل كائن حي تولد وتعيش ثم تموت، وانطلاقا من هذه الحقيقة يعرض المؤلف شواهد من الواقع المعاصر عن ظاهرة انقراض كثير من اللغات وموتها، واستعداد كثير منها للرحيل والانقراض، ويذكر بنواقيس الخطر التي نبهت إلى وضعية اللغة العربية ونذر موتها، وفي هذا السياق من التذكير كان كل مرة يضع يده على الحقائق العلمية، وعلى أسباب التهديد ومصادره، كما يضع يده على سبل العلاج والخروج من النفق / الأزمة:

أ- مهددات اللغة العربية :

لعل من الهموم الأساسية للمؤلف معالجة مهددات اللغة العربية :

● أولها اللغات الأجنبية : وقد كان خطرها كبيرا على اللغة العربية قبل وخلال الاستعمار وبعده بقليل، غير أن السبب الثاني الأكثر خطورة حاليا على اللغة العربية هو اللهجات المحلية.

● ثانيها اللهجات المحلية: إذ يعتبر هذا العامل في نظر المؤلف هو أخطر مهدد مرحليا، فتجده يقول مثلا: «إن اللغات الأجنبية . وقد سبق القول فيه . لم تعد هي العدو الأول للغة العربية، وإنما العدو الذي في مستطاعه أن يجهز على العربية فيذهب بريحها هو اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى، ولا سيما حين تغزو قلاع المؤسسات التعليمية» (ص. 262)

ويقول في موطن آخر: «فعلى مدى الحقب التاريخية الثلاث: حقبة ما قبل الاستعمار، وحقبة الاستعمار، وحقبة ما بعد الاستعمار، كان العدو الكبير للغة العربية هو لغة المستعمر ، أما الآن فإن العدو الأكبر لم يعد اللغة الأجنبية بقدر ما هو الثقافة الأجنبية إذا ما تسربت إلى القناعات الحميمة، فأصبحت متحكمة في الآليات النفسية عبر التحكم في أدوات التفكير .. إنه الاستلاب» (ص.394)

● ثالثها : غياب الوعي العربي وضعف القرار السياسي والثقافي: مما يزيد في تعقيد وضع اللغة العربية ليس كونها في صراع مع أعدائها من اللغات الأجنبية واللهجات المحلية بقدر ما أن عدوها الثالث هو جهل أبنائها بواقعها وغياب الوعي الجماعي وضعف القرار الحمائي والعلاجي لأزمة اللغة العربية ومن جملة ما قاله في هذا السياق: «**ومن منا لا يعلم أن الحديث عن تدهور حال اللغة العربية وعن تهافت مرتكزاتها في الحياة العامة، وعن فتور الهمم وتخاذل الإرادات عن نصرتها، كل ذلك قد أضحى حديثا مكررا مستعادا يوشك أن يمسي ممجوجا**». (ص. 15)

ب - بم يتحقق الأمن اللغوي؟

يعتبر الكتاب حقيقة سجلا تأريخيا وتوثيقيا لكثير من المبادرات المحلية والعربية ليس فقط في تشخيص واقع العربية وعوامل ضعفها بقدر ما هو أيضا سجل حافل بكثير من المقترحات التي وردت في تقارير وتوصيات جهات متعددة على اختلاف مستوياتها وحجمها وقوة تأثيرها كلها حددت كثيرا من السبل والإجراءات القمينة –إذا ما فعلت وعمل بها– بإخراج العربية من مأزقها التاريخي الخطير، وقد بث المؤلف هذه المقترحات في كثير من فصول الكتاب وصفحاته، كالحماية القانونية للغة العربية واستعمالها، وجعلها لغة الإعلام والتعليم والإدارة، والإبداع الثقافي والتخاطب بها في الملتقيات الدولية، وإعداد العدة العلمية لإصلاح مناهج تدريسها وتأليف ما يلزم من القواميس والمعاجم والنصوص والتشجيع على استعمالها وتخصيص المكافآت والجوائز للمتفوقين فيها... غير أن أهم مقترح لتأمين اللغة العربية وتحقيق الأمن اللغوي هو أن يعي صانع القرار السياسي هذا الأمر ويتبناه عن قناعة واختيار، إذ طالما كرر المؤلف بمرارة ضعف الموقف السياسي في الوعي بالمسألة اللغوية في بلداننا العربية.

وختاما فإن الكتاب في درجة كبيرة من الأهمية موضوعا ومنهجا ومقصدا، وفي غاية الأهمية توقيتا وتوكيدا وتوثيقا. وهو إن لم يكن شيئا فيكفيه أن يكون وثيقة تاريخية تؤرخ لفترة عصيبة من تاريخ اللغة العربية وعلاقة أهلها بها، ونرجو أن لا تكون نداءات الاستغاثة الواردة فيه مثل نداءات استغاثة الأندلسيين بإخوانهم المسلمين إبان محن السقوط والطرد والهوان والضياع والذوبان القسري!!

د. عبد المجيد بنمسعود

خروق في سفينة المجتمع

56ـ «منظومتنا» التعليمية تشكو خروقها

لقد ألِفْتُ منذ عقود من الزمن أن أسيح شرقا وغربا، وَشمالا وجنوبا، عبر بوابات الوطن وحصونه، ومساحاته الشاسعة والمترامية، في حواضره وبواديه، وجباله وسهوله، ناشدا صلة الرحم، طارقا كل الأبواب، سائلا عن الأهل والأحباب، وما صاروا إليه من أحوال، و حل بهم من صروف البلاء، كنت أسأل عنهم واحدا واحدا، أطعم جائعهم، وأكسو عريانهم، وأعود مريضهم، غير أن أشد ما كان يؤرق نفسي ويستأثر بهمي بشكل خاص، هو ما كان يتناهى إلى سمعي من أخبار غير سارة، عن سيدة فاضلة، لها علي فضل كبير، فهي بمثابة أمي الثانية التي أودعتني أسرارا بعيدة الغور، وربطت نفسي بمنابع الحكمة الخالدة، وكم كان لها من أيادٍ بيضاء على الصغير والكبير، وتربى على يديها وترعرع في أحضانها ومهادها خلق كثير، كان منهم العارف للجميل، والعاق الذي يأكل الطعام ويكسر الماعون. لقد ورثتني تلك الأخبار هما عارما ونكدا قاتما لما كشفت عنه من صنوف العقوق والنكران، وألوان الإهمال والإيذاء، فما كان مني إلا أن أسرعت الخطى قاصدا أحد مقرات إقامتها القديمة التي أبت إلا أن تقيم فيه في هذه الفترات العصيبة التي تجتازها، رغم ما يعتري جدرانه من اهتراء، وسقوفه من تصدع واهتزاز، طرقت الباب ويداي ترتجفان، وقلبي شديد الخفقان، لما أضمرته نفسي من وحشة النأي وألم الفراق، وصادق الحنين والأشواق، وتحسبا لما خشيته من سوء على أمي الثانية التي لقحتني بلقاح الحب والوفاء. فما أن انكشف الباب الخشبي القديم عن محياها الكئيب، حتى استقبلتني بالأحضان، وغمرتني بحنانها المعهود، وانهمرت عيناها بالدمع الهتون، الذي ما فتئ أن تحول إلى نشيج ونحيب، فأكرمت وفادتي بما عندها من تمر وحليب، وبدأت تقص علي ما مورس عليها من عدوان، وما تجرعته من مر الذل والهوان، مما تنكسف له القلوب، ويشيب لهوله الولدان:

اسمع يا فلذة كبدي ويا ولدي الحبيب، لقد مر على أمكم من البلاء ما تنهد له الجبال، وتقر له أعين الأنذال، لقد قاتلت وجالدت مجالدة الفرسان المغاوير لأحافظ على ملكي الباذخ الفسيح الأرجاء، ومحميتي الخصيبة المعطاء، التي كانت ترتع فيها النسور والأسود والغزلان، وتأنس في جنباتها وأفيائها فراخ الطيور المتعددة الأصناف والألوان، وتقفز بين شعابها وتحلق في أمان، عبر الجداول والأنهار، وبين الغصون والأفنان، وتسرح في حقولها وبين أشجارها وجبالها أسراب النحل الكريمة، تتغذى على أعشابها البرية النقية ، وتمتص من أزهارها طيب الرحيق، كان ذلك يا ولدي في الزمن السحيق، الذي كان فيه الصديق لصديقه نعم الصديق، وكان سلطان الحق لرواد الطريق نعم الشعار ونعم الرفيق، كان القرآن رائدي لمعالي الأمور، ومنصة العروج نحو مواطن السعادة والحبور، وسلما ذهبيا يرتقي به سامق الدرجات والذرى، وكانت معالم الطريق ومصابيح الهدى لذلك المعراج، هي السيرة السنة، لحبيب الرحمن خير الورى. عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ثم توقفت الأم للحظات، وقد خنقتها العبرات، ثم استأنفت والدمع يسيل مدرارا على وجهها الشاحب الكئيب: كان ذلك يا فلذة كبدي وثمرة فؤادي في الزمن الجميل، حين كان يستعصي على مردة الشياطين الدخول إلى محميتي الطاهرة، بل كانوا لا يجسرون حتى على مجرد الاقتراب من حماها المهيب، إشفاقا على أنفسهم من جلال وهيبة المكان، وخشية من أن تصيبهم نيران الحراس الأشاوس الشجعان.

أما اليوم فها أنت ترى بأم عينك يا بني ما طال محميتي العتيدة من مظاهر الخراب، فعششت فيها البومة واستباحها الغراب، وبعد أن حوصرت فيها الأسود والنسور والغزلان، أصبحت ثروتها نهبا للكلاب والضباع والذئاب، وصوحت أشجارها، وهاجرت أطيارها وجففت أنهارها، وحطمت سفنها وقلاعها.

لقد زعموا يا بني أنهم أرادوا مصلحتي وعافيتي، وراحوا بعد أن وصموني بالاعتلال، يجلبون إلي من زعموا أنهم مختصون في كل مرض عضال، فأرغموني على تناول ما أعدوه لي من وصفات ما أنزل الله بها من سلطان، فصرت من جرائها كما ترى، مفككة العرى ممزقة الأوصال، أهذي بالليل والنهار، وأشكو للخبير المتعال، ولطالما رفعت عقيرتي يا ولدي الحبيب بالشكوى والصراخ، ما رددت صداه الجبال والبطاح، أن أرجعوني إلى أصولي، وأبعدوا عني الأطباء المزيفين والخبراء الملفقين، فقد حقنوا جسمي ، بكل سم زعاف، وبكل داء براح، واءتوني بأحبائي الذين يفهمون لغتي ويعرفون علتي، فعندهم دوائي وشفاء غلتي، ولكنهم أصموا يا بني آذانهم عن صراخي وشكاتي، وراحوا يتلذذون بأوجاعي وأناتي، ويصرون بكل صلف واستكبار، أن لديهم خلاصي ونجاتي. فها أنت ترى يا ولدي الحبيب ما أصابني من هزال، نتيجة فقر الدم الذي يمتص ما تبقى من قوتي، ويلتهم لحمي ويستنزف عظامي، فأنا مشرفة على الهلاك، رغم تبجح المتبجحين، بأنني أتماثل للشفاء، فهل بعد هذا الزور يا ولدي من زور، وهل بعد هذا الهراء من هراء؟ إنه لا شفاء لي إلا بالقرآن، إيتوني بماء القرآن، إيتوني بماء القرآن، إيتوني بماء القرآن!! ألا هل بلغت اللهم فاشهد !!

قالت أمنا المظلومة هذا الكلام، وهي تجيل بصرها في معالم الخراب الذي أصاب المحمية المنكوبة، وطفق جسدها يهتز اهتزازا غريبا، ويرتعش ارتعاشة المذبوح المغدور، ثم خرت مغشيا عليها.

حضرت سيارة الإسعاف بعد ساعة من الوقت، نقلوا الأم المنكوبة إلى مصلحة المستعجلات، لتنتظر دورها مع أخواتها المنكوبات، لبثت وقتا طويلا في الانتظار، والحمى تأكل أحشاءها وتخترق عظامها، وعندما حظر الطبيب، جس نبضها وقاس حرارتها، فلم تزد وصفته لها عن مسكنات، وعما وصف لها في سابق الأزمات. قبلت جبينها وأضفت دموعي إلى دموعها، وسألت الواحد القهار، مفرج الكروب أن يفرج كربها، ورحت أتلو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير. وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾(الأنعام : 17 – 18) وقوله عز من قائل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(آل عمران : 26 – 27).

مواقف... ومواقف

د: عبد القادر لوكيلي

... في الوقت الذي تزور فيه الممثلة الأمريكية الشهيرة «أنجيلا جولي» مخيمات اللاجئين السوريين الفارين من جحيم بشار الأسد وتمسح على رؤوس الأطفال وتواسي الأرامل والشيوخ والجرحى وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي...في هذا الوقت بالذات تقوم الصحفية التونسية المشهورة كذلك والمحجبة أيضا «كوثر البشراوي» بتقبيل بيادة (حذاء) عسكرية أهداها لها أحد جنود النظام السوري المجرم خلال زيارتها المشبوهة لإحدى ثكناتهم.

... تقوم بتقبيل البيادة مباشرة على إحدى قنوات النظام السوري متحدية بذلك مشاعر ملايين اللاجئين والمشردين السوريين في شتى أنحاء العالم العربي..

متحدية مشاعر ملايين المسلمين والعرب وحتى الأجانب المتعاطفين مع الشعب السوري المضطهد من أرضه...

طبعا لم تذكر هذه (الصحفية) وهي تقبل البيادة متباكية على تخلي العالم عن نصرة المجرم بشار الأسد...

لم تذكر –وهي الصحفية المقتدرة وكنا نحترمها ونحسبها على خير– لم تذكر لنا كل تلك المجازر المروعة التي ارتكبها الأسد ولا يزال ضد شعبه الأعزل على مدار أربع سنوات من الرعب والقتل والتشريد في إحدىأبشع المجازر التي عرفها التاريخ... قد لا تضاهيها في البشاعة سوى مجازر التتار ومحاكم التفتيش...

لم تذكر لنا براميل المتفجرات التي تسقطها طائرات النظام على رؤوس الآمنين حتي تحولت مدن وقرى سوريا الجميلة إلى أطلال وأثر بعد عين، ولم تسلم حتى المساجد ومدافن الصحابة والصالحين من الدمار والتخريب حتى لا تكاد ترى إلا حجرا على حجر من كثرة القصف والتدمير المستمر.

كل هذا وغيره الكثير لم تأت على ذكره الصحافية التونسية وهي تقبل البيادة، لأن حب البيادة قد ذهب بعقلها وأفقدها صوابها ومهنيتها التي عرفناها بها طيلة مسيرتها الإعلامية المتميزة ...موقفها المخزي هذا لم يأت معزولا دون مقدمات، فقد سبق لها أن عبرت عن حبها الشديد لبشار الأسد متمنية أن تحشر معه...

أبشري يا بشراوي فقد بلغني أن رسول الله ﷺ قد قال: «يحشر المرء يوم القيامة مع من أحب»... اللهم ارزقنا حسن الخاتمة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بنبض القلب

العرب بين شرعيتين

د: أحمد الأشهب

لا أحد يجادل أن الحوثيين تجاوزوا حدود الحوار وحدود المنطق، وأن حماية الشرعية في اليمن السعيد باتت أمرا ملحا للحفاظ على وحدته واستقراره وأمنه، وأن أي انقلاب يروم خلط الأوراق من جديد ما هو إلا فتنة يجب التصدي لها بكل حزم، لكن المريب في الأمر أن الذين اعتبروا ما يقع في اليمن انقلابا على الشرعية يزكون انقلابا آخر ضد الشرعية بل ويسدون له رئاسة مؤتمر القمة العربية في شرم الشيخ، فما الفرق بين دبابة الحوثيين ودبابة السيسي؟ وما الفرق بين انقلاب أنصار الله على حكومة هادي منصور وانقلاب العسكر على محمد مرسي؟

إن هذا العبث السياسي هو الذي يجعل المواطن العربي لا يثق في أي مبادرة عربية مهما كانت مصداقيتها، لأن سياسة الكيل بمكيالين والتي دأبت عليها الأنظمة العربية ولا سيما الخليجية أفقدت أي فعل عربي جدواه، فاليوم وبعد اشتعال النار في اليمن ومخافة أن تحرق الجيران تتم المناداة من أجل إنشاء قوة عربية مشتركة، فأين كانت هذه القوة لما أحرقت غزة ودفنت تحت الأنقاض؟؟

حقا إنه زمن عربي رديء بكل مقاييس الرداءة... زمن يصبح فيه الحليم سفيها، ويصبح السفاح منقذا. إنه زمن للسلطة على ظهر دبابة أجيرة، أو ناقة العشيرة، إنه زمن السائرين في موكب التسلط الصهيوني بكل خنوع وإذلال.

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يندد بالكارثة الإنسانية التي يتعرض لها الروهينجا المسلمون

أصدر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بيانا يوم 26/05/2015 بيانا ندد فيه بالكارثة الإنسانية التي يتعرض لها الروهينجا المسلمون على يد حكومة ميانمار ، وحذر من سيناريو التهجير القسري الذي تنتهجه ميانمار ضدهم، كما طالب المجتمع الدولي بسرعة التدخل لإنقاذ الروهينجا المهجرين في البحر منذ أشهر ، ودعا من خلاله الأمم المتحدة والدول الإسلامية والمنظمات الإغاثية إلى سرعة تقديم العون لهم وإيوائهم وإعادتهم إلى بلادهم بحقوق مواطنة كاملة . وقد نشر البيان على موقع الاتحاد العالمي

حكومة بنكيران تتجه نحو بناء شقق للتأجير بثمن منخفض للمغاربة

صرح نبيل بنعبد الله، وزير السكنى والتعمير وسياسة المدينة، أن الحكومة المغربية التي يرأسها عبد الإله بنكيران، تفكر في أخذ المبادرة في مجال السكن المعد للكراء، من خلال توفير شقق بعدد كافي وتأجيرها بأسعار منخفضة.

وقال الوزير المغربي، في ندوة حول مقارنة السياسات العمومية المتعلقة بالسكن المعد للإيجار، نظمتها وزارة السكنى وسياسة المدينة، إن هذا التوجه الذي لا زال قيد التفكير، ينتظر أن يتم إسناد تدبيره لشركات تابعة لمجموعة معروفة في عالم العقار وإحدى الشركات التابعة ل"سي دي جي"، وليس الاعتماد على مبادرة القطاع الخاص فقط، وذلك من أجل تخفيض العجز الحاصل وأيضا للمساهمة في خفض تكلفة الكراء التي بلغت سومته في المدن الكبرى أرقاما قياسيا وتباينا بين الأحياء.

كوبا: مرور 400 عام على الوجود العربي الإسلامي في كوبا

العرب في كوبا: 400 عام من البصمة الثقافية"، هذا ما قاله "ريجوبرتر مينينديث" – مدير المتحف الإثنوغرافي في "كوبا" – في سياق اليوم الخامس من مؤتمر "التنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية"، وأكد أن الوجود العربي بالجزيرة يرجع تاريخه إلى أكثر من 400 عام. كما تم تأكيد أن الفترة بين 1898–1870 شهدت أكثر موجة هجرة عربية من الدول التالية: "لبنان"، و"فلسطين" و"سوريا". وقد أعطى "مينيديث" مثالاً على أنه في الفترة بين 1906 و1913 وصل إلى الجزيرة 3،758 مهاجرًا من عرب وأتراك ومصريين، وفقا لجريدة "برينسا لاتينا"، علاوة على دخول 9،337 مهاجرًا من "لبنان" و"فلسطين" و"سوريا" في الفترة بين 1920 و1931، كما لوحظ ازدياد العنصر الإسلامي بين المهاجرين.

الولايات المتحدة: اختتام رحلة رفع الأذان في 50 ولاية

نجح المؤذن "جمال سيد" في رحلته التي أعد لها منذ شهور، والتي استهدفت رفع الأذان في 50 ولاية أمريكية خلال 35 يومًا، ليحل رَحْله بمسجد الجمعية الإسلامية بـ"ديترويت" الكبرى، مؤكدًا أن رحلته كانت رحلة ملحمية لنشر السلام، من خلال الأذان وبعض المحاضرات الدينية. وقد أكد المؤذن "جمال سيد" الذي يبلغ 40 عامًا، والعامل في مجال التسويق – أنه خلال رحلته التقى بالعديد من المسلمين من الخلفيات العرقية المتنوعة، واجتمع بغير المسلمين، ودارت معهم نقاشات متنوعة، مثنيًا على الكرم وحسن الضيافة التي حَظِي بها لدى أناس قابَلهم للمرة الأولى.

أستراليا: ارتفاع معدلات التحاق الطلاب المسلمين بالمدارس الإسلامية

أشارت التقارير الصادرة عن وزارة التعليم الفيدرالي إلى أن العام الماضي رصد وجود 28،267 طالبًا مسلمًا في 39 مدرسة إسلامية، بزيادة بلغت 82% عن العام 2009؛ حيث كان عدد الطلاب 15،503 طلاب، بينما لم يزد عدد الطلاب الملتحقين بالمدارس العامة خلال نفس الفترة عن 6%. .وأن 6 مدارس من المدارس الخاضعة لإدارة الاتحاد الأسترالي للمجالس الإسلامية، تضم 5481 طالبًا بزيادة بلغت 53% خلال السنوات الخمس الماضية. وقد أشار بعض المعلقين من العاملين بالتعليم إلى أن أولياء الأمور يعتقدون أن الأبناء سيكونون بأمان في ظل التعليم بالمدارس الدينية، وأنهم في حماية بعيدًا عن العداوة التي يتعرضون لها؛ مثل: السخرية بالشعائر الظاهرة كالحجاب، وغيرها من الممارسات العنصرية ضد المسلمين.

كوبا: افتتاح دورة لتعليم الإسلام والثقافة الإسلامية

أكد– أستاذ مساعد في المعهد العالي للعلاقات الدولية في "كوبا" (ISRI) " أن دورة التعليم الإسلام والثقافة الإسلامية المقامة في "كوبا"، سوف تساعد دارسي الدراسات العليا على فهم الصراعات التي تحدث في تلك المنطقة، فضلاً عن أن هذه الدورة تزودهم بالمعلومات الكافية للتعرف على الإسلام. ويرى الخبير الدولي أنها فرصة للتقرب إلى الإسلام، ونبذ حملات الكراهية التي تقام ضده من قِبَل بعض الدول الأوروبية، وتتزعمهم "الولايات المتحدة".وأضاف "بوريجو": إن هؤلاء هم من ساهموا في رسم تلك الصورة السلبية عن الدول الإسلامية بأنها الدول الراعية للإرهاب، وقد قادت تلك الحملة "واشنطن" والدول الأعضاء في منظمة حلف شمال الأطلسي.كما أشار "بوريجو" إلى أنه لابد من التعرف على الوجه الحقيقي للحضارة العربية الإسلامية وإسهاماتها في حضارات العالم.

"منظمة التعاون" تعرب عن قلقها من العنف ضد الروهنجيا

أعرب مجلس وزراء خارجية منظمة التعاون الإسلامي عن القلق العميق إزاء استمرار أعمال العنف والتمييز الممنهج ضد الروهنجيا المسلمين في ميانمار (بورما سابقا)

وحث القرار المتعلق بميانمار في الدورة الثانية والأربعين التي اختتمت أعمالها الخميس الماضي في الكويت سلطات ميانمار على اتخاذ التدابير اللازمة لاستعادة الاستقرار، والبدء في عملية شاملة للمصالحة تشمل جميع مكونات مجتمع الروهنجيا بمن فيهم الذين فقدوا جنسيتهم والمشردين داخليا واللاجئين.

ودعت المجلس سلطات ميانمار إلى اعتماد سياسة شمولية وشفافة تجاه الروهنجيا المسلمين، والاعتراف بهم كأقلية عرقية وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في 24 ديسمبر 2009م.

الإسلام الديانة الأكثر انتشاراً في العالم

وفقا لتقرير حديث أعده مؤخرا مركز بيو للدراسات وهو مركز بحثي أميركي في واشنطن. ويعمل في مجال أبحاث الشعوب والنشر، أنه من المتوقع في عام 2050 أن يحقق عدد معتنقي الدين الإسلامي زيادة تصل نسبتها إلى 73% ليتساوى مع عدد معتنقي الديانة المسيحية. جدير بالذكر أنه في الوقت الحالي أكثر من ثلث تعداد المسلمين في العالم تحت سن الخامسة عشرة من العمر، يضاف إلى ذلك نسبة الخصوبة المرتفعة وسط المجتمعات الإسلامية في العالم، حسبما يوضح الباحث كونراد هاكيت، والمشرف العام على إعداد التقرير سالف الذكر.

وتشير نتائج التقرير إلى أنه بحلول عام 2050 ستتساوى بنسبة كبيرة أعداد معتنقي الديانة الإسلامية والديانة المسيحية حيث لن يتجاوز الفارق بينهما مئتي مليون فقط، حيث سيصبح تعداد المسلمين مليارين وسبعمئة مليون، بينما سيصل تعداد المسيحيين مليارين وتسعمئة مليون نسمة. ويوضح التقرير أنه في حالة معتنقي الديانة المسيحية، سيشهد التعداد تراجعا واضحا، إما نتيجة لاعتناق ديانات أخرى، أو نتيجة الاتجاه للإلحاد، ومن المنتظر أن تؤثر هذه العوامل خلال الفترة بين 2010 و2050 على نحو 60 مليون مسيحي، في الوقت نفسه لا يتوقع أن يجري الأمر على النحو ذاته مع معتنقي الدين الإسلامي خلال الفترة الزمنية نفسها.

بحسب تقرير مركز بيو فإن المرأة المسلمة تنجب في المتوسط 3.1 طفل، بينما تنجب المرأة المسيحية 2.7 طفل، مقابل 1.7 للمرأة الملحدة أو التي لا تعتنق دينا على الإطلاق.

أما التجمعات السكانية اللادينية التي لا تعتنق أية ديانة، فرغم تزايد أعدادها في دول مثل الولايات المتحدة، تشهد تراجعا كبيرا على مستوى العالم.

ومن ثم يؤكد جولدستون أنه «وهكذا، ورغم الافتراضات التي كانت تشير إلى أن الديانات سوف تختفي كلما تزايدت رقعة الحداثة في العالم، لا يزال الناس يريدون الدين ويحتاجون إلى العقيدة".

نصائح صحية

● أفضل طريقة ووقت لتناول الطعام حين يجوع الإنسان وليس على شبع.

● صيام يوم الاثنين والخميس أو ثلاثة أيام من كل شهر أفضل وسيلة علاجية ووقائية لجسم الإنسان.

● غض البصر عن ما حرم الله تعالى حفاظ على التقوى وطاقات الإنسان المناعية والوقائية وقدرة الجسم على الاستمرار قويا حتى الشيخوخة.

● شرب الماء مصا وليس عباً بوضع الجلوس أفضل طرق شرب الماء وأصحها.

● استعمال السواك مطهرة ومرضاة لله تعالى ووقاية ولعلاج الفم والأسنان.

● الحركات التي يقوم بها الإنسان يوميا خلال أداء الصلوات أكبر علاج لفقرات الظهر وبها فوائد عديدة.

● العسل ينظم حركة التنفس وينفع المصابين بفقر الدم والشيخوخة ويستعمل في كثير من العلاجات.

● الخبز غذاء ممتاز لا غنى للإنسان عنه وأول طرق الاستفادة منه هي أن يمضغ الخبز مضغاً جيداً كما أن الخبز الجاف أسهل هضماً من الخبز الطازج . لذا نحمص الخبز ليسهل هضمه .

● عند الحاجة يمزج دقيق الشعير مع دقيق القمح فيكون غذاء ممتازا غير أن طعمه ليس مقبولاً كالخبز المصنوع من القمح .

● توصف الحلبة للمرضعات بعد الوضع مباشرة، لزيادة إفراز الحليب، وللذين يشكون من قلة الشهية وفقر الدم، وللنحلاء، كما تمزج الحلبة بالعسل للمصابين بالإمساك المزمن، لعلاج الصدر، وضعف الباءة، والحلق، والسعال، والربو.

شـؤون صغيـرة

يلتقطها د. حسن الأمراني

مفاتح الفراشة (3)

مفتح الغواية

﴿خطاب إلى أهل الهداية﴾

الناس طائفتان: أهل الهداية وأهل الغواية. وقد تحددت دلالة الهداية والغواية من القرآن والسنة، ومهما حاولنا إضفاء دلالة جديدة عليها زغنا عن الطريق.

وقد حذرنا الرسول ﷺ من سبل الغواية، ومن احتقار شؤون صغيرة في حياتنا، وهي قد تردي صاحبها، وتلقي به إلى مهاوي الردى، فقال عليه الصلاة والسلام في خطبته الجامعة، بحجة الوداع: «أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يُطَعْ فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم». سيرة ابن هشام.

وحديثي اليوم مع الأدباء والمتأدبين.

لقد كان رسول الله ﷺ حريصا على تميز المسلم في كل شيء، وكما أنه لم يرض عليه السلام بأن يدعى إلى الصلاة بأسلوب اليهود أو النصارى أو المجوس، كان يتعهد الأدباء والشعراء بالتوجيه حتى لا يتبعوا ما هو من شعائر أهل غواية من الكلام. وعندما قال كعب بن زهير مادحا له عليه السلام:

إن الرسول لسيف يستضاء به
مهند من سيوف الهند مسلول

قال عليه السلام موجها: بل من سيوف الله.

وقد وقف محمد إقبال، وهو شاعر الإسلام الحكيم، عند هذه القصة فقال في ديوان: أسرار خودي:

كعبٌ الشاعرُ في خير العبادْ
أنشد المدحة من «بناتْ سعادْ»
نظم الدّرّ منيرا في ثناه
من سيوف الهند سيفا قد دعاه
مَنْ على الأفلاكِ فيه رفعةُ
لم ترقهُ لبلادٍ نسبةُ
قال: سيْفٌ من سيوف الله قلْ
يا نصير الحقّ زوراً لا تقلْ

ولو كان إقبال من أنصار القوميات والعصبيات لراقته نسبة كعبٌ السيوف إلى بلده، الهند. ولكنه ظل طوال حياته ثائرا على العصبيات للأوطان والأعراق، فلذلك وجد شفاء في توجيه الرسول عليه السلام.

وعندما قال كعب بن مالك رضي الله عنه:

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة
مذربة فيها القوانس تلمع

وجهه عليه السلام إلى أن يقول: «عن ديننا»، لا «عن جذمنا».

وقد سعى أهل الغواية من الأدباء في عصرنا الحديث إلى شحن تعبيراتهم بكل ما يناقض معتقداتنا، فتابعهم طائفة من أدباء الهداية في ذلك، ظنا منهم أن ذلك من التجديد، فزلت أقلامهم وأقدامهم، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا. وقد وقف محمد إقبال رحمه الله تعالى ضد التجديد الزائف، مبينا خطورته، وموضحا أن التجديد إنما هو في تجديد ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

ومن صور تحريف المعاصرين وضلالاتهم أنهم راحوا يمجدون كل صور الغواية، كالكفر والخيانة والانحراف والعهر، وقد تولى كبر ذلك أدونيس وجماعته. وهذا أمل دنقل يقول:

المجد للشيطان
من قال: لا، في وجه من قالوا: نعم

فوجد من يستقبل هذا القول الهجين بالترحاب والتصفيق.

ومن أخطر صور الغواية استعمال مصطلحات أهل الغواية وتمجيدها، ومنها لفظ الغواية نفسه، وهو لفظ لا يدل، في كل آيات القرآن الكريم وأحاديث نبي الله عليه السلام، إلا على اتباع إبليس وجنده، وما يرد في معرض المدح قط.

ولكننا وجدنا شيوع هذا المصطلح في معرض المدح، تسلل به أهل الغواية، فتلقفه منهم أهل الهداية من الأدباء على غفلة من الحس الإيماني، فكاد يهوي بهم. فها هم يتحدثون عن «غواية الحكي»، و«غواية السرد» و«غواية التأويل»، و«غواية الخطاب السيميائي»، وما إلى ذلك، كل ذلك في معرض المدح والثناء، وكأنهم لم يقرؤوا قط قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربّه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾(طه)، فجعل سبحانه الغواية مقابلة للهداية. ولا قوله عز وجل: ﴿فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ (الصافات)، فالغاوون لا يرضون إلا أن يسقطوا في حبائل الغواية سواهم. والغاوون هم الذين قال عنهم الله عز وجل في تصنيف الشعراء: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾(الشعراء). وقال تعالى حكاية عن إبليس، رأس الغواة: ﴿لأغوينهم أجمعين﴾ (الحجر). وفرق الحق سبحانه بين أهل الهداية وأهل الغاوين فقال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾(الحجر).

فعلى أيّ وجه حملت الفراشة لفظ الغواية؟

لنستمع إليها:

مغلولةٌ
بعُقود النور
تلبسُني
أنا الفراشةُ
أفنَى في أحاسيسي
××××
كأنما الصَّلبُ
في المَابين
من شَغَفي
تتلو اغتيالِيَ
نايَاتُ الحَناديس
××××
تكلّسَ الخطوُ
في الأضداد مُغترفا
من كوثر الموت
مَوّار الفَراديس
××××
فلا شففتُ على
النيران غاويةً
ولا كشفتُ أنا
عن ساق بَلقيس

إذا كان للشعر منطقه، فإن هذا المنطق في نهاية الأمر، على خصوصيته، لا يرتد إلى نقيض المنطق العقلي، وإن كانت له مداخله الخاصة، تجعل الشعر لا يمشي على طريق «تنافر الأضداد»، كما سماها يوما شوقي ضيف رحمه الله، وهو يدرس شعر أبي تمام، بل الشعر يسعى على «تحاور الأضداد»، وعلى هذا نفهم أغلال عقود النور، إذ الأغلال ظلمة، ولكن النور طارد للظلمة، لذلك تفقد الأغلال دلالتها السلبية، وتصبح عقدا، والعقد عَقْدٌ وعهد مع الجمال، وهذا الجمال هو الذي يلبس الفراشة، لا العكس. ولكنّ الغواية تظل هي الغواية، بكل من تحمل من حناديس، فالشفوف -مجرد الشفوف- على النيران غواية، ما ينبغي للمومن الاقتراب منها.

وعندما تحافظ الشاعرة على الدلالة المعجمية للفظ «الغواية»، فلأن تلك الدلالة هنا معتصمة بما يخضع له اللفظ من معان، اكتسبها من المرجعية القرآنية التي لا تجعل الغواية إلا قرينة الشيطان، ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا﴾(النساء).

أوما آن لأدباء الهداية أن يتعظوا؟

إنه ما من فضل لنا في اتباع أهل الضلالة والغواية حتى ولو كان ذلك باسم التجديد والمعاصرة. وإنما الفضل كل الفضل في أن يسلك الأدباء مسلكا خاصا بهم، وأن يصطنعوا لأنفسهم مصطلحات خاصة بهم في النقد والأدب، فإن لم يفعلوا بقوا عالة على من سواهم، وأضلوا من يتبعهم من الأمة التي ترجو من الأدباء أن يكونوا قادة وسادة، لا تبّعا ولا عبيدا.

إلى أن نلتقي

وينشَأُ ناشئُ الفتيان منّا على ما كان عوَّدَه أبـوه

حينما نربي ناشئتنا على قيم الأمانة والصدق والوفاء والإخلاص وغيرها من مكارم الأخلاق، نرى العجب العجاب فيهم ومنهم... جدّية، عملٍ دؤوب، تفانٍ في الاجتهاد... وما شئت من الأعمال والصفات التي تكشف فعلاً براءتهم الفطرية، وصفاءهم الموهوب، حيث توافق التربيةُ السلميةُ الفطرةَ البريئةَ، فيصدق فيهم قولُ الرسول ﷺ عيانا: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه، أَوْ يُنَصِّرَانِه، أَوْ يُمَجِّسَانِه، كَمَا تُولَدُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ».

وحينما نربي ناشئتنا على خلاف ذلك ونعودهم على الكذب والغش والغدر والنفاق وغير ذلك من مساوئ الأخلاق، نرى العجب العجاب أيضا، تكاسل، تواكل، عُدوانية... وما شئت من الأفعال والصفات التي لا تتناسب وبراءتهم ولا تتماشى وفطرتهم، ومن ثم يبدأ التنافر بَيْن ما فيهم من الفطرة الآدمية السليمة، وبين ما يرغب فيه مُرَبُّوهم أن يُعوِّدوه عليه، فيبدأ الانحراف المبكّر والشذوذ عن مكارم الأخلاق، فتصدق فيهم قصة ذلك الولد العاق الذي أخرج أباه من البيت وجَرَّه من رجله مسافة بعيدة دون أن يتكلم الأب بكلمة. فلما أوصله إلى مكان معين قال له الأب مستعطفا: حسبك يابنيّ! فقال له الابن متعجبا: ولِمَ لَمْ تطلب مني ذلك طوال هذه المسافة التي جررتك فيها؟ فقال له الأب: لأني جررت أبي أنا أيضا من البيت إلى هذا المكان، وأحسب أني قد أخذت جزائي... ومن ثم يصدق على هذه الحالة قول المصطفى ﷺ: «بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ».

نعم ولهذا قال الشاعر:

وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا ×××× على ما كان عوَّدَه أبـوه

مبدأ تربوي فطري آدمي نصّ عليه الذكر الحكيم في أكثر من آية، ونطق به رسول الإسلام ﷺ في أحاديث كثيرة، ونطقت به ألسنة الحكماء والشعراء والمربين بأكثر من تعبير، وصوّره المبدعون الفنيون المحدثون المخلصون في أكثر من شريط من الأشرطة القصيرة، مبدأ ينص بكل وضوح على أن الابن يقلد أبويه في كل شيء، وفي العادة يغلب تقليدُ السلوك السيء على تقليد السلوك الحميد، لأن مبادئ التربية تؤكد أن لصوق الفعل القبيح في الأبناء أشد من علوق الفعل الحسن، وبالتأكيد فإنه إذا عُزز القولُ بالفعل والفعلُ بالقول، كان لذلك التأثير الفعال في الآخرين، كل الآخرين، وفي مقدمتهم الأطفال.

أعجبني شريط قصير ياباني، صور فيه المخرج كيف أن الطفل الياباني متمسك بما عوده عليه أبواه وما عودته عليه التربية الوطنية ومجتمعُه عموما، من أمانة وصدق ووفاء وغيرها من كريم الشيم، ومن ثم لا عجب أن يكون الياباني عبقريا مبدعا منتجا في بيئة لا تنتج أرضها أي شيء، إلا ما ينتجه أبناؤها بعقولهم وسواعدهم.

بيَّن الشريط تجربة يقوم بها أكثر من واحد من الرجال والنساء في محطة انتظار تجاه الأطفال، لاختبار مقدار أمانتهم. يُبين الشريط في إحدى لقطاته قيام شخص من الرجال أو النساء بإسقاط حافظة نقود أمامَ الطفل؛ ينظر الطفل إلى الحافظة، وينظر إلى الشخص صاحب الحافظة، ينبهه بالقول، ثم يأخذ الحافظة ويسلمها إلى صاحبها، وبما أن الشخص يُمثّل -من حيث لا يعرف الطفل ذلك- يبقى غير آبه لتنبيه الطفل، بعد ذلك يعيد الطفل الحافظة إلى مكانها من الأرض، وعلامات الحزن بادية عليه.. وفي لقطة أخرى يُصرّ طفل آخر على تنبيه الشخص، ينتبه الشخص بعد لأْي، يشير الطفل إلى الحافظة، يأخذها الشخص شاكرا الطفل، ثم تبدو علامات الفرح على وجه الطفل،،، أكثر من مشهد ينبئ بصدق عن أمانة الطفل الياباني، تلك الأمانة تربى عليها الطفل، والتي لا تخرج بالتأكيد عن مبدأ الفطرة المشار إليها آنفا...

ونعود ببصرنا، وهو حسير، إلى قارتنا، إلى بلادنا، لنرى إلى أي حد تتجلى مثل هذه القيم في مجتمعنا وإلى أي حد ربَّينا عليها أطفالنا!!

هاهم أبناؤنا على أبواب الامتحانات والاختبارات، كمْ من تلميذٍ وكَم من طالب لا يحدّث نفسه بالغش؟ ويرى الغش حراما، أو على الأقل سلوكا يهضم حقوق الآخرين المخلصين؟؟؟

كم من أب -أو أُمّ- يُحذّر ابنه من الغش ويزجره وينبهه إلى أن الإنسان السوي فضلاً عن المسلم التقي لا ينبغي أن يَقرب الغش ولو من بعيد؟؟؟

ثم لنقلب السؤال ونقول: كمْ من تلميذ وكم من طالب يرى الغش مَغنما والأمانة مَغرما؟؟

كم من واحد من هؤلاء يرَى الغاشَّ ذكيا "متطورا"، ويرى الأمين الوفيّ مُغَفّلا "متخلفا"؟؟

ثم ليسأل كل أبٍ نفسه مع أي سؤال ومع أي جواب يصنف ذاته، وعلى ماذا يشجع أبناءه...

ثم ليسأل نفسه ثانية أين يبدو مستقبل الوطن، مع هؤلاء أو مع هؤلاء؟

ثم - قبل ذلك وبعده - ليحاسب نفسه في هذا الباب قبل أن يحاسبه ربه يوم الحساب...

د. عبد الرحيم الرحموني